الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

التشكيل الصوتي الإيحائي في البيـــان النبوي

مذكرة معدة لنيل شهادة الليسانس (ل.م.د) في اللغة العربية وآدابها

إعـداد الطالبـات :

- ✓ أميره بن يوسف
- ✓ خديجة بو قرحة
- ✓ مليكة درقيش
- ✓ هاله حوامدي

إشراف الأستاذ :

د/ محمد نصر الدين وهابي

الموسم الجامعي: 1435/1434 هـ / الموافق لـ : 2014/2013 م .

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٩

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ
وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ التوبة: 105

شكر وعرفان

إيمانا بقوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ سورة الأحقاف الآية: 15، ولقوله جل في علاه ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ سورة إبراهيم الآية: 07

إقراراً واعترافا بالجميل نتقدم بالشكر والعرفان للذي لا تعد نعمه ولا تحصى، فإن قلوبنا تخر ساجدة لله جل وعلا أولا وأخيرا، ممهد السبل. وموفق للمساعي.

وتصديقا لقول الحبيب المصطفى ﷺ ((من لا يشكر الناس، لا يشكر الله)) رواه الترمذي

نتقدم بالشكر الجزيل لمن كان له الفضل بعد الله تعالى ... إلى من غمرنا بعلمه وكان له الأثر البالغ في ظهور هذا البحث وإنجازه ... للأستاذ الدكتور * **محمد نصر الدين وهابي*** على ما قدمه لنا من نصح وإرشاد ... جعله الله ذخرا للعلم وأقر عينه.

كما نتقدم بالشكر إلى الأساتذة ***محمد الصديق معوش*** و***سليم حمدان*** والدكتور ***عادل محلو*** بصفه خاصة الذي مد لنا يد العون ... فبارك الله فيه وأدامه الله نبعا يفيض علما وأدبا.

- إلى كل طاقم إدارة ومكتبة كلية الآداب بجامعة الوادي.
- إلى موظفي مكتبة دار الثقافة *محمد الأمين العمودي* بالوادي
- إلى موظفي مكتبة *الزاوية التجانية* بقمار.
- إلى موظفي مكتبة *زاوية سيدي سالم* .
- إلى موظفي * مكتبة حفوظة *.
- ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كل من أسدى نصيحة ... وكل من قدم رأيا أو كلمه، وغفلت عنه الذاكرة وهو بعمله باق.

أميره _ خديجة _مليكة _هاله

مقدمة

يُعد الصوت عصب الكلام ومادته الخام، يكون من خلال التعاضد والتآزر مع الأصوات الأخرى مُكَونا للكلام الذي يُعد سلوكاً لغويا لفظيا من مجموع السلوكات الأخرى لبني البشر، وقد خص الله ﷻسيد المرسلين محمد ﷺ بالفصاحة والبيان فكان أسلوب حديثه مميّزا على غير المعهود.

ومن هذا المنطلق فإن دراستنا تركز على الدلالات المنبثقة من التشكيلات الصوتية التركيبية اعتمادا على وجود مبدأ التوافق والتناسب بين الأصوات والمعاني وعلى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، على أساس التكرار، وأثر التشكيل الصوتي في الحديث النبوي وما يفرزه من إيحاءات، وتجلياته المستمدة من هذا التشكيل من حيث تكوينه وأدائه ونطقه.

فالصوت مظهر من مظاهر الانفعال النفسي، والبُنى الصوتية لها دلالات ظاهرة وفي الوقت نفسه لها دلالات إيحائية.

ولأن البيان النبوي له أبعاده الفنية والبلاغية والصوتية والدلالية، اخترنآ إثنين من هذه الأبعاد وجعلناهما موضوعا للدراسة؛ وهما الصوت والدلالة، فكان هذا الموضوع بعنوان: **"التشكيل الصوتي الإيحائي في البيان النبوي "**.

وبما أن مجال البحث في جانبي الصوت والدلالة واسع، فإننا اقتصرنا في دراستنا هذه على دلالة التكرار في الحديث النبوي وبالخصوص فقد سلطنا الضوء على دلالة الصوت المكرر في الأفعال التي تأتي على صيغة الفعل الرباعي المضاعف (فعلل).

والحقيق بالذكر أن الخوض في غمار هذا الموضوع راجع لعدّة أسباب أهمها الميل إلى دراسة الأحاديث النبوية وإبرازها من خلال دراستها من الجانبين الصوتي والدلالي، ورغبة منّا للوقف على بعض أسرار البيان المحمدي وتبيينها والتعرف على دور العلاقات الصوتية الدلالية.

فغايتنا من هذا البحث هي الإجابة عن عدّة تساؤلات كانت تتبادر إلى أذهاننا بخصوص هذا الموضوع وهي:

1. ما هي العوامل أو الظروف التي جعلت الرسول ﷺ ينال أعلى درجات الفصاحة والبيان؟
2. ما مدى اهتمام علماء اللغة بقضية اتصال الصوت بالمعنى؟
3. هل استثمر الرسول ﷺ دلالات الأصوات في الأحاديث النبوية؟
4. إلى أي مدى تتجسد تشكيلية الأصوات وإيحائيتها في البيان النبوي؟
5. هل كشفت تكرارية الأصوات على جماليات معاني البيان النبوي؟

وقد اقتضت طبيعة هذا العمل أن يقوم على مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة. حاولنا من خلال هذه المكونات الإجابة عن التساؤلات المطروحة. فجاء المدخل حول مقومات البيان النبوي وعلى ثلاث محاور هي: مفهوم البيان لغة واصطلاحا، مفهوم علم البيان، مقومات البيان النبوي. وتناولنا في الفصل الأول: القيمة التعبيرية للصوت فعقدنا له خمسة مباحث يسبقها تمهيد يضم مفهوم الصوت والمعنى، فتطرقنا في المبحث الأول إلى علم الأصوات العام وتعرضنا في المبحث الثاني إلى الفونولوجيا، أما المبحث الثالث فقد تطرقنا فيه إلى التمييز بين الفونيتيك والفونولوجيا، وفي المبحث الرابع تناولنا قضية الصوت والمعنى في التراث ونفس القضية في المبحث الخامس إلا أنها كانت في

اللسانيات الغربية العربية الحديثة. ويمثل الفصل الثاني ركيزة مهم من ركائز هذا البحث فجاء بعنوان: الصوت والمعنى في البيان النبوي، وقد أُستُهِلّ بمدخل حول بلاغة الحديث النبوي الشريف وتليه أربعة مباحث، كان الأول في مفهوم التكرار لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى التكرار في الحديث النبوي الشريف، وتناولنا في المبحث الثالث التكرار الصوتي في القرآن الكريم، أما المبحث الرابع والأخير فقد خصصناه لدراسة تحليلية لنماذج حديثية من جانبين اثنين وهما الصوت والدلالة. وآخر ما خُطّ الخاتمة والتي توجت بأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وتَنَاوُلِنا لهذا الموضوع يستدعي بالضرورة اتباع منهج مناسب تعتمد عليه مثل هذه الأبحاث، يتمثل هذا المنهج في المنهج الوصفي التاريخي.

ولتعدد زوايا هذا البحث فقد تعددت اتجاهاتنا في اختيار المصادر والمراجع التي تخدم موضوعنا فكانت بذلك متنوعة بين كتب التراث والمعاجم والتفاسير وشروح الحديث من جهة والتي منها: الكتاب لسيبويه، الخصائص لابن جني، معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، لسان العرب لابن منظور، تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، فتح الباري في شرح صحيح البخاري للعسقلاني وشرح صحيح مسلم للنووي. وبين كتب البلاغة والصوتيات والدلالة من جهة أخرى فمنها: البيان النبوي لمحمد رجب البيومي، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية لكمال عزّ الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا) لعصام نور الدين وجرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب لماهر مهدي هلال.

ولا وجود لبحث خالٍ من الصعوبات والعراقيل، فبحثنا كغيره من البحوث الأكاديمية تعرضتنا فيه بعض المعيقات منها: صعوبة انتقاء النماذج التي تخدم موضوعنا، ضيق الوقت لزيادة أكبر عدد من هذه النماذج وقلة المراجع المتخصصة. إلا أننا جعلنا من هذه الصعوبات حافزا لإتمام البحث وهذا بفضل ما قدمه لنا الأستاذ المشرف "**محمد نصر الدين وهابي**" من دعم وما أحاطنا به من رعاية ونصح وتوجيه، فالشكر موصول له ولكل من قدم لنا يد العون.

وفي الختام فإن ما أنجزناه ليس إلا عملا بشريا لا ندّعي فيه بلوغ الكمال، فربّما قد تسرّبت إليه بعض النقائص، ولأن مجال العلم والتعمق فيه لا يزال مفتوحا وسيبقى لمن جدّ واجتهد ونقب وبحث فبإمكان المتأخر أن يصل إلى ما لم يصل إليه المتقدم.

مدخل

مقومات البيان النبوي

أولا: مفهوم البيان

ثانيا: مفهوم علم البيان

ثالثا: مقومات البيان النبوي

قسم الله البيان، بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه قدرا مشتركا بين الحاضر والغائب، والمقيم والمسافر اتماما للنعمة على عباده واكمالا للمعرفة في عمارة بلاده[1]. فالبيان في اللسان العربي المبين هو الأسبق زمنا وتاريخا، فقد كان العرب في الجاهلية يتكلمون اللسان العربي الفصيح حتى لقبوا بفرسان البلاغة وأمراء البيان، ولم ينزل القرآن بعد[2]. وعندما نزل القرآن، نزل ببيان فاق بيان وبلاغة كل البشر، ذلك أنّه نزل بلسان عربي مبين كما أشارت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل: 103، وما قاله المولى عز وجل في محكم تنزيله أيضا ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: 195.

وقد خص الله سيد الرسل محمد ﷺ بكامل الفصاحة بين البدو والحضر. وأتاه بحكمته أسرار البلاغة والبيان وفصل الخطاب، ومنحه الأسلوب الحكيم في جوامع كلمه، فقد قال ﷺ: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" فهذه هي البلاغة الانسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة[3]،حتى أجمع الناس على أن محمدا الأمي قد أوتي من الأسلوب السهل المعجز ما لم يؤت معلم ولا متعلم ممن دانت لهم العربية وملكوا زمامها، فله جوامع الكلم وبدائع الحكم في لفظ ناصع وقول

[1] – محمد الصالح الصديق، محمد الرسول ﷺ في بلاغته وهجرته وإسرائه ومعراجه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1985م، ص:22.

[2] – عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ج1، دار المعارف، الجزائر، ط1، 2003م، ص: 119.

[3] – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1973م، ص: 279.

جزل ومعان صحاح خالدة في عبارات مضيئة مشرقة لا تكلف فيها، فمن كمال فصاحته ﷺ أنه كان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها[1].

فها هو أبو حيان يصف بلاغة السنة قائلا: "والثاني سنة رسول الله ، فإنها السبيل الواضح، والنجم اللائح، والقائد الناصح، والعلم المنصوب، والأمم المقصود، والغاية في البيان والنهاية في البرهان، والفزع عند الخصام، والقدوة لجميع الأنام"[2]. وفصاحته ﷺ أمر لا يشك فيه عاقل، ذلك أن القوم الذين أرسل إليهم هم أئمة البيان وهم في خصومته قوم لد، لا تنقطع بهم حجة، ولا يعوزهم منطق بليغ، قد نعتوا الرسول بأوصاف عديدة كيدا ومخاصمة، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته، لأنهم يعلمون أن مثل هذه الفرية زائفة باطلة لدى دهماء الناس جميعا[3].

نظرا لكل ما ذكر كان لابد من الوقوف على مفهوم البيان ومقومات البيان النبوي، أي ما الأسباب التي أدت بالرسول ﷺ إلى أن يكون أعلى البشر بيانا وفصاحة.

أولا: مفهوم البيان:

أ- البيان لغة:

بان بيانا اتضح فهو بَيِّنٌ. أبِيناءٌ وبِنْتُهُ بالكسر وبيَّنْتُهُ وتبيَّنْتُهُ وأَبَنْتُهُ واستبَنْتُهُ أوضحته وعرَّفتُهُ فبان، وبَايَنَهُ هاجره[4]. وتَبَيَّنَ الشيء ظهر، وقالوا أبانوا الشيء واستبان وتبين وأبان وبين بمعنى واحد، ومنه

[1] – محمد علوي المالكي الحسني، محمد ﷺ الانسان الكامل، دار جوامع الكلم، القاهرة، دط، دت، ص: 46.

[2] – أبي حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، تح: وداد القاضي، دار صادر ، بيروت، ط1، دت، ص: 06.

[3] – محمد الصباغ، الحديث النبوي مصطلحاته بلاغته كتبه، المكتب الاسلامي، دمشق، ط4، 1981م، ص: 53.

[4] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، ص:1182.

قوله تعالى: "آياتٍ مبينات" بكسر الياء وتشديدها بمعنى متبينات ومن قرأ مبينات بفتح الياء فالمعنى أن الله بينها، والتبيين: الايضاح والتبيين: أيضا: الوضوح، والبَيانُ: ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها[1]. والبيانُ: الفصاحةَ واللَّسَنُ، وفي الحديث "إنَّ مِن البيانِ لَسِحرًا" وفلانٌ أبْيَنُ مِنْ فلانٍ أي أفصح منه وأوضح كلامًا[2].

ب- البيان اصطلاحا:

يمضي الجاحظ في علاجه لمصطلح البيان قائلا: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفض السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان من أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مراد الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بَلَغْتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع[3].

ويقول الجاحظ أيضا: قال ثمامة بن أشرس: قلت لجعفر بن يحي ما البيان؟ قال: أن يكون اللفظ يحيط بمعناه ويخبر عن مغزاه ويخرجه من الشركة ولا يسعين عليه لكثرة، والذي لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا عن الصنعة[4].

---

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص: 67.

[2] – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1989م،ص:62.

[3] – أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العربية، بيروت، دط، 2001م، ص: 56.

[4] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، ص: 241-242.

ومنه فالدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه، ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم[1].

والبيان هو النطق الفصيح المعرب المظهر عما في الضمير كما أنه إظهار المعنى، وإيضاح ما كان مستورا قبله وقيل هو الاخراج عن حد الإشكال، والفرق بين التأويل والبيان أن التأويل ما يذكر في البيان لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة، والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك خفاء بالنسبة إلى البعض[2].

ثانيا: مفهوم علم البيان:

يشير ابن خلدون في مقدمته إلى أن علم البيان هو علم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية، لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني[3]، ويعرفه البلاغيون: هو معرفة إيراد المعنى الواحد في الطرق المختلفة الدلالة بالخفاء على مفهومها تفاديا عن الخطأ في التطبيق لتمام المراد، ويُعنى بتمام المراد كُنْه ما يقصده البليغ من البلاغة[4].

[1] – بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988م، ص: 95.

[2] – الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص: 47.

[3] – مقدمة ابن خلدون، ج1، دار العلم للجميع، بيروت، دط، دت، ص: 550.

[4] – الإمام الطيبي، التبيان في البيان، تح: عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م، ص: 340.

ثالثا: مقومات البيان النبوي:

كان محمد ﷺ سيد مجتمعه أدبا وفضلا قبل المبعث[1]، وكان أبلغ أصحابه بيانا وأفصحهم لسانا، ومن أصدقهم لهجة وأكثرهم تحريا للحقيقة والصواب[2]، فهو الذي قال عن نفسه ﷺ: "أنا خير من نطق بالضاد بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن"[3]. وتفوقه ﷺ بيانا وفصاحة كان بفضل العديد من المقومات التي جعلت منه هذا الانسان الجلي في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ. فمن بين هذه المقومات ما يلي:

I. التوفيق الإلهي:

وهو ما اقتضته الحكمة الالهية في رسول الله ﷺ، إذ ابتعثه الله سبحانه للعرب، وهم أئمة البيان، ولا تنقطع بهم حجة ولا يعوزهم منطق بليغ وفيهم الفصاحة على درجات فمنهم الفصيح والأفصح، والبادي والمتحضر، فكان يعلم ذلك منهم، ويخاطب كل قوم بما يفهمون، وقد أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم وعَلِمَ ألسنة العرب، ولم يتأت ذلك لغير نبي[4].

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه كان على الهدى والفطرة والهداية والاستقامة منذ طفولته وصغره[5]. وقد ولد محمد ﷺ يتيما فتولاه ربُّه بالتربية والرعاية والتأديب فكان أفصحهم منطقا،

---

[1] – مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دط، دت، ص: 7.

[2] – أبو بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2007م، ص: 315.

[3] – حسام البهنساوي، التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م، ص: 126.

[4] – محمد على الكواز، الفصاحة العربية المفاهيم والأصول، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2006م، ص: 100.

[5] – محمد علي الصابوني، صفحات مشرقة من حياة الرسول ﷺ وصحابته الأبرار، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2006م، ص: 16.

وأسحرهم بيانا، وأقواهم حجة وأحسنهم دليلا فإذا كان العرب قد بلغوا الذروة في فن القول، فإن محمد ﷺ قد فاقهم فيه، وتجاوزهم إلى أفق أعلى ومكانة أسمى وتجدر الملاحظة إلى أن فصاحة الرسول ﷺ احتلت مكانة الصدارة والقمة واتسمت بطابع الامتياز عن فصاحة العرب، لأنها كانت توفيقا من الله، وإلهاما منه وإيحاءا، فالله تعالى اصطفاه لوحيه، واختاره لبيانه، واختصه بكتابه العزيز الذي جعله الله مَلِكًا على دولة الكلام[1].

II. قريشيته:

لقد تناولت مكة منذ القدم أمم عتيدة قوية، ملكت أزِمَّةَ القوة والحضارة والجاه، فلما أثمت أخذها الله بين بكرة وعشية، ومن يأثم بمكة أضله الله وأرداه، حتى أقرها الله في أيدي قريش ذات الطول والحول والعزة والحمية. ومضاء الرأي وسناء الحياة، وكانت أزمة قريش السياسية والحربية والأدبية والاجتماعية بأيدي آباء النبي السادة القادة الأباة الحماة[2].

فكانت لهجة قريش أوسع اللهجات ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوبا، وأقربها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول. قال الفراء "ولهذا كانوا يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ" وقال ثعلب: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء"، وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى

[1] – محمد الصالح الصديق، مع الرسول ﷺ في بلاغته وهجرته وإسرائه ومعراجه، ص: 27-28-30.

[2] – صلاح الدين الهواري، المولد النبوي الشريف، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2003م، ص: 276.

بالألفاظ والحروف: "كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها، مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس"[1]، فكان لقريش الأثر الكبير في تهذيب اللغة وصقلها، والسمو بأسلوبها، بما توفر لهم من مجالات الخطابة والشعر، فكانت القبائل تفد إليهم في موسم الحج فيتبادلون أفصح العبارات، وأقوى أساليب البيان، وكان الشعراء، والخطباء يحاكون قريشا في استعمال لغتها، لينالوا بذلك فخرا وشرفا، وكان سوق عكاظ بالخصوص من بين الأسواق العربية الأخرى التي تُعْرَضُ فيها المواهب الفكرية، فيكون بذلك تلاقح في المواهب والقرائح، وتنافس في الإجادة والإبداع[2].

وكان لبعد قريش عن بلاد العجم، واختيارهم أحسن لغات العرب وأشعارهم وكلامهم ما جعلهم أفصح العرب على الإطلاق[3].

لقد نشأ النبي ﷺ وتقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا، وأعذبها بيانا، إذ كان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في سعد بن بكر، ومنشؤه في قريش، ومتزوجه في بني أسد، ومهاجرته إلى بنو عمرو وهم الأوس والخزرج من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة[4].

[1] – محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي، مصر، دط، 1996م، ص: 94.

[2] – محمد الصالح الصديق، مع الرسول ﷺ في بلاغته وهجرته وإسرائه ومعراجه، ص: 29.

[3] – عبد الله عبد الناصر جبري، لهجات العرب في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص: 81.

[4] – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 285.

والنبي محمد ﷺ كان يحب إعادة ذكريات تلك الفترة، وكثيرا ما كان يقول: "إن من نعم الله علي التي لا تقدر، أني ولدت في قريش أشرف القبائل، وأني نشأت في بادية بني سعد، أصح المواطن بالحجاز"[1]، وقد أقام في البادية بين الأعراب إلى الخامسة من عمره، واستنشق هواء الصحراء، الخالي من شوائب المدينة ووخمها، وتعلم اللغة العربية من منبعها نقية خالصة من لحن الحواضر، وتدرب على العدو، وسرعة الحركة، واكتسب صفاء الذهن، ورهافة الحس، وعمق التأمل، وكان من عادة أشراف العرب، أن يلتمسوا المراضع لأبنائهم، في البوادي ليكون ذلك أصح للبدن، وأصفى للعقل، وأقوم للسان، ومن هنا كان الرسول ﷺ أفصح العرب وأبلغهم[2]، فهو الذي بعثه الله لقوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ولابد لهم من لسان أفصح من ألسنتهم لينقادوا له ويخضعوا[3]، ففصاحة محمد ﷺ قد تكاملت له في كلامه، وفي هيئة نطقه بكلامه، وفي موضوع كلامه، فكان أعرب العرب كما قال: "أنا قرشي واسترضعت من بني سعد بن بكر" فله من اللسان أفصحه بهذه النشأة القريشية البدوية الخالصة وهي فصاحة الكلام، وجمال فصاحته في كلامه وخير من وصفه بذلك عائشة رضي الله عنها حين قالت: "ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا ولكن يتكلم بكلام بيِّن فصل يحفظه من جلس إليه"[4].

[1] – عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، محمد رسول الله، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1986م، ص: 84.

[2] – محمد الصالح الصديق، مع الرسول ﷺ في بلاغته وهجرته وإسرائه ومعراجه، ص:30.

[3] – بكري شيخ أمين، أدب الحديث النبوي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1979م، ص:104.

[4] – عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ص: 20.

III. تلمذته على القرآن:

إنها لحكمة كبيرة أن يكون محمدا رسول الله أميا، لا يخط كلمة، ولا يقرأ حرفا طوال حياته، قبل النبوة وبعدها ليؤمن من كان عنده أدنى قدر من عقل أن هذا التكوين كان مقصودًا، وأن هذا القرآن كان من عند الله، وأن محمدا لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[1]، فهو الذي اختاره ربه لحمل رسالة القرآن والدين الاسلامي الحنيف، وقد بدأ فصل رسالته من تلك الحياة الحافلة بالتجربة أن اتصل بخارق غير مرتقب هزَّهُ هزا، هو نزول الملك عليه في الغار بأول الوحي، فكان بدء الحياة رسالته، لحقه منه الفرق والرعدة التي تشبه الحمى، حتى شكا إلى خديجة زوجه ما لحقه، يسألها أن تزمله في لهجة المشفق، وتكرار المتعجل، فشدّت من أزره، وقوَّت من عزمه، فعل الزوج الحكيمة المسعفة زوجها عند الشدائد[2]، ولأجل عظم هذا الأمر، جاءه جبريل عليه السلام، وهو يتعبد بغار حراء، وذلك قبل أو يوحى إليه، فقال له: "إقرأ" فقال: "ما أنا بقارئ"، فأخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله، فقال له: "اقرأ". فقال "ما أنا بقارئ". ففعل به مثل ذلك مرتين، فقال له في الثالثة: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: 1، فقرأها ثم رجع إلى خديجة يرجف فؤاده، فقال: "زملوني". فدثروه. فأنزل الله عليه وهو على تلك الحال[3]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾ المدثر: 1-3.

[1] – بكري شيخ أمين، أدب الحديث النبوي، ص: 99.

[2] – كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار إقرأ، بيروت، ط1، 1984م، ص: 262.

[3] – أبي العباس ضياء الدين الأنصاري، إثبات نبوة محمد، تح: أحمد آيت بلعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص: 97.

وقد أخبر أبو أحمد عبد الله بن محمد بن الحسن العدل، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر المزكي، أخبرنا ابراهيم البوشنجي، أخبرنا ابن بكير أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: "يأتيني أحيانا في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال: وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا، فيكلمني، وأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي، في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإِنَّ جبينه ليتفصد عرقا[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أيضا: "إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على ناقته فتضرب بِجِرانها من ثقل ما يوحى إليه، وإن كان جبينه لينطف بالعرق في اليوم الشاتي إذا أوحي إليه". وعن زيد رضي الله عنه قال: "كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته بُرَحَاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجُمَان، ثم سُرِّي عنه، وكنت أكتب وهو يملي عليَّ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبدا"[2].

والذي نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ هو القرآن باعتبار أنه الألفاظ الحقيقة المعجزة من أول الفاتحة، إلى آخر سورة الناس، وتلك الألفاظ هي كلام الله وحده لا دخل لجبريل ولا لمحمد ﷺ في انشائها وترتيبها، بل الذي رتبها أولا هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك تنسب له دون

[1] – أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ص: 52-53.

[2] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تهذيب الخصائص النبوية الكبرى، تح: عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1410هـ، ص: 87.

سواه، وإن نطق بها جبريل ومحمد ﷺ وملايين الخلق من بعدهما من لدن نزول القرآن وإلى يوم الساعة، فالله – جلَّت حكمته – هو الذي أبرز ألفاظ القرآن وكلماته مرتبة على وفق ترتيب كلماته النفسية لأجل التفهيم والتفهم. وقد أسفَّ بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط، وكلاهما قول باطل أثيم، فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: 6.والحق أنه ليس لجبريل في هذا القرآن سوى حكايته للرسول وإيحائه إليه، وليس للرسولﷺ في هذا القرآن سوى وعيه وحفظه، ثم حكايته وتبليغه، ثم بيانه وتفسيره ثم تطبيقه وتنفيذه، ونحن نجد في القرآن نفسه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد ﷺ نحو قوله جل علاه[1]: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل: 6. ونحو قوله عز من قائل:﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ يونس: 15.

ونقل السيوطي عن الجويني أنه قال: "كلام الله منزل قسمان: قسم قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول: افعل كذا وكذا، وامُر بكذا وكذا. ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي، وقال له ما قاله ربه. قسم آخر: قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل

[1] – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م، ص: 43-44.

به جبريل من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين، ويقول اقرأه على فلان، فهو لا يغير منه كلمة ولا حرف. قال السيوطي بعد ذلك: قلت: القرآن هو القسم الثاني والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل أداها بالمعنى ولم تجز قراءة القرآن بالمعنى لأن جبريل أدى القرآن باللفظ ولم يبح له أداؤه بالمعنى والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والاعجاز به[1].

ولا يفوتنك أن كلام النبي ﷺ هو مادة البلاغة العربية بعد القرآن الكريم فالقرآن أستاذ محمد وهو منبعه الذي استقى منه بلاغته فقد ملأ القرآن حياة الرسول ﷺ وشغل عقله وقلبه وأورثه الحكمة والحجة والبيان[2].

فقد تمثل القرآن في رسول الله ﷺ بصورة واقعية حية تمثلا كاملا، حتى ليمكن أن يقال عنه أنه كان قرآنا حيا يسير بين الناس[3]، وما يدل على ذلك أن معاني محمد كانت ربانية في ارشاداتها وأن ألفاظه كانت معرضا رائعا لمعانيه، ولقد سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن أخلاق الرسول ﷺ فقالت: "وكان خُلُقُهُ القرآن" ... أجل كان القرآن طمأنينة خاطره ومصباح عقله وملهم معانيه ومحدد اتجاهه ... وياله من أستاذ[4]

[1] – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008م، ص: 45.
[2] – أ–ي– فنستك، مفتاح كنوز السنة، تر: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، دط، 1983م، ص: 3.
[3] – محمد رجب البيومي، البيان النبوي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1987م، ص: 67.
[4] – محمد محمد الفحام وآخرون، سلسلة الفكر المعاصر (محمد رسول الله)، دار الآفاق، الجزائر، دط، دت، ص: 20.

الفصل الأول

القيـمـة التعبيـريـة للصـوت

تمهيد:

أولا: علم الأصوات

ثانيا: الفونولوجيا

ثالثا: التمييز بين الفونيتيك والفونولوجيا

رابعا: الصوت والمعنى في التراث

خامسا: الصوت والمعنى في اللسانيات

تمهيد:

الواقع أن دلالة الصوت وقيمته التعبيرية (الايحائية) في المادة اللغوية (الكلمات) من القضايا التي شغلت اللغويين القدامى وحتى المحدثين الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض لفكرة المناسبة بين الصوت والمعنى. ومن هنا كان لا بد من الوقوف على علم الأصوات العام وعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) وقبلها يجب التطرق إلى كل من الصوت والمعنى (الدلالة).

فالصوت عند ابن سينا: "تموج الهواء ودفعه بقوة بأي سبب كان"[1].

وعرفه اخوان الصفا: " الصوت قرع يحدث إذا اصطدمت الأجسام بعضها بعضا، فتحدث ذنيك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتا"[2].

أما عند ابراهيم أنيس: "فالصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها"[3].

والصوت اللغوي هو الصوت الصادر عن جهاز النطق الانساني "فالمنطوق منه يعد أصغر الوحدات اللغوية في النص الأدبي فضلا عن أنه يعد المادة الخام للكلام السابق من ناحية ولتراكيب النص اللغوية والسياقية والدلالية من ناحية ثانية"[4].

[1] – ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح، محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، دت، ص: 56.

[2] – إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء،ج3، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص:95.

[3] – ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت، ص:05.

[4] – مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2003م، ص: 21.

بينما المعنى فهو الصورة الذهنية المقصودة بشيء معين أي بلفظ معين، في اطار تناول تركيب الكلام، وهذه الصورة (أي المعنى) تكون مفردة إذا كانت خاصة بلفظ مفرد، وتكون مركبة إذا كانت خاصة بلفظ مركب.[1]

وهو كذلك ما تفرزه طبيعة الأصوات من ايقاع حيث تضم إلى بعضها على وقف نسق تركيبي لإنتاج بيان لغوي معين [2].

ولقد كان أول بصيص للنور في مجال دراسة الصوت لدى العرب منذ ظهور الدين الاسلامي وما دعاهم إلى ذلك هو الخوف من أن يطرأ على الكتاب المعجزة أي تحريف أو تغيير سواء على صعيد اللفظ أو المعنى، فوصفوا مخارج الحروف وصفا دقيقا أثار دهشة المستشرقين واعجابهم وتحدثوا عن صفات الحروف وأصواتها مما يدل على ارهاف الحس العربي وشفافيته وقد أطلقوا على هذه الدراسة تجويد القرآن الكريم[3].

ومن هنا يتضح أن الاهتمام بعلاقة الصوت بالمعنى في الدراسات العربية قد اقترن بدراسة العرب للقرآن الكريم وتساؤلهم عن أصل اللغة.

[1] – عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار غريب، مصر، دط، 2002م، ص: 27.

[2] – عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار صفاء، عمان، ط1، 1998م صك 21.

[3] – عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، مطبعة الجبلاوي ، دط، دت، صك 08.

أولا: علم الأصوات العام

يعد علم الأصوات العام علما قديما، حيث بدأ هذا العلم ينشأ ويتطور منذ بدأ الاهتمام بملاحظة الظاهرة الصوتية في جانبيها الفيزيولوجي والفيزيائي، وأخذ يكتمل بفضل توافر نتائج علمية في رحاب معارف إنسانية مختلفة، الأمر الذي ساعد الدارسين على تقديم وصف دقيق لعملية انتاج الأصوات اللغوية.[1]

I. مفهومه:

يعتبر هذا العلم فرع من فروع علم اللسان أو اللسانيات[2]، وهو العلم الذي يدرس الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها وكيفية صدورها[3]، دون الاهتمام بمعنى الصوت، بقطع النظر عن اللغة التي ينتمي إليها[4].

أو هو العلم الذي يدرس الصوت مجردا بعيدا عن البنية، حيث يحدد علماء الأصوات طبيعية الصوت اللغوي وماهيته وكيف يحدث ومواضع نطق الأصوات المختلفة، والصفات النطقية المصاحبة للصوت[5].

وجاء في قاموس اللسانيات أن الصوتيات هي العلم المهتم بالجانب المادي للأصوات في اللسان البشري، وتسعى الدراسة العلمية الموضوعية في هذا العلم إلى وصف الصوت اللغوي

---

[1] – أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1999م، ص:70.

[2] – خولة طالب ابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006م، ص:43.

[3] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م،ص:1331.

[4] – نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط1، 2006م، ص:92.

[5] – محمد نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة عنابة، الجزائر، ط1، 2006م، ص:13.

بالاعتماد على بعض الميادين في علمي الفيزيولوجيا والفيزياء[1].

ومن مصطلحاته (علم الأصوات اللغوية) وهي ترجمة الدكتور محمد أبو الفرج، وتعريبه إلى (فونيتيكا)، أو (فوناتكس) أو فوناتيك ولم تأخذ بترجمته إلى علم الأصوات العام، أو (علم الأصوات)، أو (علم الصوتيات) أو (علم الصوتية) دون ايراده مُعَرَّبًا لأن علماء العربية المحدثين لم يتفقوا على ترجمة موحدة[2].

II. موضوعه ومجالاته:

إن موضوع علم الأصوات هو (phone) الصوت اللغوي المفرد البسيط الذي يمكن له أن يخضع للقياس والتحليل الآلي، أي أن (phone) وحدة صوتية لغوية صغرى قابلة في ذاتها للقياس بالآلات الحساسة، فعلم الأصوات، حينئذ، منوال إجرائي يتخذ الصوت (phone) موضوعا له، فهو من ههنا دراسة علمية موضوعية تهدف إلى تقديم التفسير الكافي للأثر الصوتي من الناحيتين الفيزيولوجية والفيزيائية[3].

وقد أشار عبد الصبور شاهين في كتابه "في علم اللغة العام"، إلى أن موضوع علم الأصوات هو دراسة الصوت المجرد أو الفوناتيك وهذا الجانب من الدراسة الصوتية يبدأ بدراسة التكوين التشريحي للجهاز النطقي، ابتداءا من الحجاب الحاجز أسفل الرئتين، إلى الشفتين فهو يدرس هذه الأجزاء دراسة تشريحية ثم بعد ذلك يدرس وظيفتها المباشرة في إنتاج الأصوات، كما يدرس وظيفتها غير

[1] – الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية– دراسة ابستمولوجية–، دار القصبة، الجزائر، ط1، 2001م، ص:163.

[2] – عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية . الفونيتيكا . ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م، ص:24.

[3] – أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص: 70-71.

المباشرة، ويتناول أيضا دراسة الصوت ومكوناته أو عناصره الأساسية من حيث عدد الذبذبات وطبيعتها. كذلك يدرس صفات الصوت المثالية من جهر وهمس وانفجارية واحتكاكية، وذلك على مستوى استعمال الانسان للغة أية كانت اللغة[1]، هذا بالنسبة لموضوع علم الأصوات.

أما عن مجالاته فيمكن حصرها فيما يلي:

1-يصف جهاز النطق عند الانسان وصفا تشريحيا.

2-يحدد مخارج الأصوات ويضبط عملها في التجويف الصوتي.

3-يبحث في الصوت من حيث جهاز الاستقبال ويقف على كيفية تلقي الأذن للصوت.

ويبين كيف تحول الأذن الصوت عبر الأعصاب الناقلة إلى الدماغ.

4- يصف النشاط العصبي والعضلة أثناء إنتاج الأصوات واستقبالها. [2]

أما عن المجالات التطبيقية لعلم الأصوات فنذكر منها:

1- التحليل العلمي للغة:

إن الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة، أو متجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتى تصل إلى المجموعة النفسية، وعلى هذا فإن أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية أو لعناصرها التكوينية، وتقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية، وربما كان أكثر فروع الدراسة اللغوية حاجة

[1] - في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1993م، ص: 105-106.

[2] - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:93.

للتحليل الصوتي وهو علم الصرف، كما أن دراسة الدلالات ترتبط ارتباطا كبيرا بدراسة التبادلات الصوتية في الموقع الواحد[1].

2- تعليم الأداء:

إن الأداء (dicition) وهو فن النطق، قد احتل مكانا هاما في التعليم الحديث، وسوف يأخذ ولا شك اهتماما أكثر فأكثر، وعلم الأصوات هو القاعدة الأساسية لأي تعليم من هذا النوع وعلى تصحيح النطق (phoniatrics) يعطي اهتماما لكل عيوب النطق سواء كانت خصائص نطقية أو أمراضا في النظام العصبي المركزي أو نقصا في السمع، ولكن تناول الظواهر الصوتية المرضية يفترض معرفة مسبقة بعلم الأصوات اللغوي[2].

3- نطق اللغات الأجنبية:

تعليم اللغات الأجنبية كذلك حقل يحتل فيه علم الأصوات مكانا بارزا. ذلك أن أي انسان يريد أن يتعلم كيف ينطق لغة أجنبية يجب أن يكتسب أولا القدرة على أداء العادات النطقية الجديدة، ويجب أَنْ يُعَوِدَ نفسه على نطق الأصوات الأجنبية بدقة. كما ينطق أبناء اللغة نفسها ولا يستمر على احتفاظه بعاداته النطقية.[3]

[1] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2006م، ص:401.

[2] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:402.

[3] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:403.

لا يكفي تعلم الأصوات الغربية فقط، لابد من تعلم كل النظام النطقي بما في ذلك التنغيم وغيره من الظواهر الموسيقية ودون معرفة الأصوات والنغمات التي تهم كلتا اللغتين لا يمكن أن ينجح مدرس اللغة في تدريس تلاميذه النطق الجيد للغة الجديدة[1].

III. فروعه:

يمكن تقسيم علم الأصوات وفقا لجانبين هما:

1- طبيعة مادته 2- مناهج البحث اللغوي

1. تقسيم علم الأصوات وفقا للجانب الأول:

ينقسم علم الأصوات وفقا لطبيعة مادته إلى الآتي:

أ- علم الأصوات الأكوستيكي: (Acoustic Phonetics)

هو فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع وبعضهم يطلق عليه اسم علم الأصوات الفيزيائي (Physicol Phonetics) وترجم الدكتور محمود السعران كلمة Acoustic بمعنى سمعي وشرحها بقوله << ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء إلى أذن السامع وأثره السمعي، وهو يجمع بين فرعين من فروع علم الأصوات وهما علم الأصوات الأكوستيكي (Acoustic) وعلم الأصوات السمعي (Audicory)[2] .

[1] - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:403.

[2] - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:19.

ب- علم الأصوات الفيزيائي: (Phonetique accoustique)

ويدرس الموجات الصوتية الصادرة عن جهاز النطق وانتقالها إلى الأذن، والعوامل المؤثرة في ذلك من النواحي الفيزيائية[1].

تعمل الصوتيات الفيزيائية على اكتشاف الخصائص الفيزيائية للظواهر الاهتزازية والتموجية الموجودة في الأصوات اللغوية ويهتم بالأصوات اللغوية عند خروجها من الجهاز الصوتي وانتشارها في الهواء أي في تلك الفترة التي تمتد من حدوثه إلى زمن استقباله[2].

إن مهمة علم الأصوات الفيزيائي تتلخص في دراسة الوسط الهوائي بين المرسل والمستقبل أي دراسة مصدر الصوت وتردده، وسعة الذبذبات والموجة الصوتية والرنين[3].

ج- علم الأصوات السمعي: (Phonetique aixlitine):

ويطلق عليه بالإصغائي ويدرس جهاز السمع عند الإنسان ويحلل العملية السمعية ويوضح ماهية الإدراك السمعي وأثره في وصف الأصوات[4].

وهو يدرس الجانب الثاني وهو المسْتَقْبِل الذي يتلقى الكلام اعتمادا على جهاز السمع وهو الأذن، ففي هذا العلم تدرس صفات الأصوات اللغوية، أي الكيفية أو الخصائص المميزة لكل صوت حال الإدراك السمعي له[5].

---

[1] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م، ص:75.

[2] - خولة طالب ابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص:44.

[3] - صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، دار الثقافة، القاهرة، دط، 2004م، ص:09.

[4] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:75.

[5] - صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص:09.

د- علم الأصوات النطقي: (Phonetique articalatoire)

يقوم أساسا على تحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت، إنه يعطينا وصفا موضوعيا لهذه الأصوات وكيفية انتاجها، ويصنفها تصنيفا ضيقا أو واسعا[1].

يدرس الجانب الأول وهو المرسِل الذي يُخرج الكلام اعتمادا على جهاز النطق المكون من عدة أعضاء وهي التجويف الرئوي - الحلق- اللسان – الشفتان والتجويف الأنفي[2].

هـ- علم الأصوات التجريبي: (Phonetique experimontale):

ويسمى المعملي ويدرس خصائص الأصوات الكلامية باستخدام الأجهزة وصور الأشعة وغير ذلك من أدوات مخبرية متعددة[3].

وقد استخدم العلماء منذ وقت بعيد المنهج التجريبي في تحليل العملية الصوتية، لكن عملهم كان لا يتعدى التجربة الذاتية والملاحظة المباشرة[4].

و- علم الأصوات البحت:

وهو علم يدرس الأصوات لمعرفة خواصها النطقية والفيزيائية، أي أنه لا يهتم بتطور الأصوات تاريخيا أو وظيفتها أو إدراكها، ويُدعى أيضا علم الأصوات الضيق[5].

---

[1] - ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م، ص:47.

[2] - صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص: 12.

[3] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:75.

[4] - عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، ط1، 1998م، ص:85.

[5] - محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، جامعة الرياض، السعودية، ط1، 1986م، ص:113.

ز- علم الأصوات الجُمَلِي:

علم يدرس التغيرات التي تطرأ على الأصوات اللغوية نتيجة استخدامها لكلمات وجمل، إذ إنَّ كثيرا من خواص الصوت المستعمل ضمن الكلام العادي تختلف عن خواصه وهو منفرد[1].

2. تقسيم علم الأصوات وفق مناهج البحث اللغوي:

ينقسم علم الأصوات وفقا لمناهج البحث اللغوي إلى عدة أقسام:

أ- علم الأصوات المقارِن: (Comparative phonetics)

يختص هذا العلم بدراسة الجانب الصوتي في فصيلة واحدة أو أكثر دراسة مقارنة للوقوف على الخصائص الصوتية المشتركة وتلك الخصائص يرجح أن تكون جزءا من بنية اللغة الأم وقد توارثتها اللغات التي تطورت عن تلك اللغة، ومن الجدير بالذكر أن الدراسات المقارِنة تهدف إلى وضع تصور لغوي لهيكل اللغة الأم[2].

والمثال التطبيقي أن يقارَن بين أصوات الشفة للغتين العربية والعبرية اللتين تنتميان للعائلة السامية[3].

[1] - محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، ص:113 -114.

[2] - حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 1999م، ص:264.

[3] - صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص:12.

ب- علم الأصوات التاريخي: (Phonétique historique)

ويختص هذا العلم بدراسة الجانب الصوتي دراسة طويلة، أي دراسة ممتدة تشمل فترات متعددة وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أبعاد التغير التي أصابت هذا الجانب ويحاول الباحث من خلال معرفة أبعاد التغير الصوتي أن يقف على سر هذا التغير لمعرفة القوانين التي يخضع لها هذا التغير[1]، وهو ذلك الدرس المتتبع للتطورات الحاصلة للصوت عبر تاريخ اللغة[2].

ج- علم الأصوات الوصفي: (Dexcriptive phonetics)

ويختص هذا العلم بدراسة الجانب الصوتي كما يتمثل في الواقع اللغوي[3]، وهو علم يصف أصوات اللغة كما هي في مكان معين وفترة زمنية محددة دون تقصي تطورها التاريخي[4]. ويتبع هذا العلم أوصاف أصوات اللغة وتصنيفاتها في ضوء منهج الدراسة التزامنية أي خلال مرحلة واحدة من مراحل تطورها[5].

د- علم الأصوات المعياري: (Normatine phonetics)

علم يصف أصوات لغة معينة كما يجب أن تنطق بصورتها الصحيحة ويدعوه البعض "علم الأصوات الفرضي" ويقابله علم الأصوات الوصفي الذي يصف الأصوات اللغوية كما تنطق فعلا، لا

[1] – حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص:264.
[2] – الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، ص:164.
[3] – حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص: 264.
[4] – صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص:08.
[5] – الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، ص:164.

كما يجب أن تنطق[1]. أو بتعبير آخر هو العلم الذي يقدم الصورة المثالية لنطق اللغوي، ففي قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ الاسراء: 81. لابد من نطق –ج– العربية الفصحى المعطشة بتمام المخرج والصفات وليست –ج– القاهرية في نحو: اجتمع الوزراء[2].

هـ– علم الأصوات النفسي: (Pychological phonetics)

وهو علم يُبحث فيه عن تأثير العوامل النفسية على إدراك السامع للأصوات اللغوية. فإن الانسان الذي يغمره احساس بالسعادة قد تصل إليه كلمة (أتراح) كأنها – أفراح – وكلمة (محنة) كأنها – منحة – وكلمة (نقمة) كأنها – نعمة –، إذا الحالة النفسية لها دور في هذا الابداع النفسي للأصوات.

و–علم الأصوات القطعية: (Seogouental phonetics)

وهو علم يُبْحَثُ فيه عن الأصوات الأساسية (العادية) التي لها رموز مستقلة في الكتابة وعند الاكتفاء بهذا العلم تظل الجملة عرضة للاحتمالات فقولك لصاحبك (أنت الذي جهرت بكلمة الحق)، يحتمل أن تكون خبرا ويحتمل أن تكون استفهاما[3].

ولهذا كان لابد من علم آخر وهو:

[1] – محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، ص:115.

[2] – صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص:8.

[3] – صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص:11.

ز- علم الأصوات الفوقطعية: (Super seguental phonetics)

أي (الفوق القطعية) Prosodice phonetics وهو علم يدرس الفوقطعيات فقط أي الأصوات التطريزية أو الفوق تركيبية وهي النبرات والفواصل والأنغام.

ويقابله علم الأصوات القطعية الذي يدرس الصوائت والصوامت فقط[1].

ح- علم الأصوات الوظائفي: (Physiological phonetics)

هو علم يدرس الصفة التشريحية لأعضاء الجهاز النطقي، وهذه الدراسة تساعد - إلى حد كبير - على معرفة التحديد الدقيق للمخارج، ومعرفة عيوب النطق وكيفية علاجها[2].

IV. أهميته:

يمكن إلقاء الضوء على أهمية الجانب الصوتي في دراسة الجوانب الأخرى على النحو الآتي:

أ- أهمية علم الأصوات في دراسة الجانب الصرفي:

لا يتم دراسة الجانب الصرفي دراسة دقيقة إلا بمراعاة الجانب الصوتي[3].

ويمكن أن نذكر بعض الظواهر الصرفية التي تستلزم دراستها دراسة دقيقة الاستعانة بعلم الأصوات وذلك على النحو الآتي[4].

---

[1] - محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، ص:114.

[2] - صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، ص:11.

[3] - حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص:272.

[4] - حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص:272.

- **اسناد الأفعال إلى الضمائر:**

عند اسناد الفعل الماضي إلى تاء الفاعل فإن ذلك يؤدي إلى سكون لام الفعل، مثال ذلك: كَتَبْتُ Katabtu وكذلك إسناده إلى نون النسوة تسكن لام الفعل مثال ذلك: كَتَبْنَ: Katabna والتفسير الصوتي لهذا التسكين هو أن النظام المقطعي للفصحى يكره توالي 4 مقاطع من النوع القصير المفتوح (صَ حَ).

يمكن توضيح الكلام السابق عن طريق التحليل المقطعي الآتي:

- كَتَبْتُ ⟵ كَ+تَ+بَ+تُ ⟵ ص ح+ ص ح+ ص ح+ ص ح

- كَتَبْتُ ⟵ كَ+تَبْ+تُ ⟵ ص ح+ ص ح ص+ ص ح

- كَتَبْنَ ⟵ كَ+تَ+بَ+نَ ⟵ ص ح+ ص ح+ ص ح+ ص ح

- كَتَبْنَ ⟵ كَ+ تَبْ+ نَ ⟵ ص ح+ ص ح ص+ ص ح[1]

ب- أهمية علم الأصوات في دراسة الجانب النحوي:

لا تتم دراسة الجانب النحوي دراسة دقيقة إلا بمراعاة القوانين الصوتية التي يتم في إطارها بناء الجملة المفيدة، وإغفال الجانب الصوتي يؤدي إلى الوقوع في أخطاء كثيرة عند دراسة الجانب النحوي، مثلا: الاسم الموصول "الذي"؛ فالتكوين الصوتي لهذا الاسم:

[همزة قطع + لام + لام + ذال + كسرة طويلة]

[1] - حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص:272-273.

يتضح من الكلام السابق أن الاسم الموصول "الذي" ينتهي بكسرة طويلة، وهذا يبين لنا أنه لا يكون مبنيا على السكون، لأن الحركة لا تقبل السكون والقول أنه مبني على السكون يراعي المكتوب ولا يراعي المنطوق، فإذا قلنا "رأيت الذي نجح" فإن إعراب الاسم الموصول يكون على النحو الآتي: الذي: اسم موصول مبني على الكسرة الطويلة في محل نصب مفعول به[1].

ج- أهمية علم الأصوات في الجانب الدلالي:

إن علم الدلالة - وهو يدرس المعنى - لا يغفل على أنه الوجه الخفي، لوجه آخر جلي، هو الجانب الصوتي، بحيث قد يسهم علم الأصوات المجرد، أو حتى علم الأصوات التشكيلي في الكشف عن المعنى، فبداية، يمثل الصوت جسد الدلالة، الذي لا قيام لها بدونه؛ فهي علاقة ضرورية من حيث البدأ، وهي من ثم مؤثرة فيها. باعتبار القيم التمييزية للأصوات، فكل تغيير يلحق بصوت من أصوات الكلمة، يجر وراءه تغييرا في مستوى دلالته، تبعا لذلك الاستبدال، فكلمة (الخضم)؛ غير (القضم)، مع أن كليهما تدل على فعل الأكل، غير أن (الخضم) لأكل الرطب واللين، و(القضم) لأكل الصلب، وقد يتغير اللفظ أثناء التعبير عن وعي أو عن غير وعي، من منطلق تكوينه الصوتي، وإن تنافرت أصواته؛ بأن في ذلك دلالة، من مثل ما نجده في قوله تعالى، في التعبير عن منتهى الحيف والظلم، تعقيبا على الذين استأثروا بالذكران ونسبوا لله تعالى عما يقولون البنات[2]: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ النجم: 22.

[1] - حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص:277-279.

[2] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، الجزائر، دط، 2007م، ص:48-49.

د- أهمية علم الأصوات في الجانب البلاغي:

ينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة فروع وهي: أ- البديع - ب- المعاني - ج - البيان.

وعندما ننظر في موضوعات الفروع السابقة نلاحظ الآتي:

1-أن كثيرا من موضوعات البديع تتشكل أبعادها وفقا لقوانين علم الأصوات.

2-أن كثيرا من موضوعات علم المعاني يدخل التنغيم (intonation) في تشكيل أبعادها ويمكن أن نذكر أمثلة من الفرعين السابقين وذلك على النحو الآتي:

أمثلة عن علم البديع:

أ- المناسبة اللفظية: يتضح من دراسة القدماء لهذه الظاهرة أنها تنقسم إلى قسمين هما: 1- مناسبة تامة 2- مناسبة ناقصة.

فالمناسبة التامة تقوم على اتفاق الوحدتين في الوزن والقافية، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ البقرة: 61.

والمناسبة الناقصة تقوم على اتفاق الوحدتين في الوزن دون القافية.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة: 30.

أمثلة عن علم المعاني:

أ- جملة الأمر: [العب واترك المذاكرة]؛ قد تعني النصح والارشاد وقد تعني التهديد. والنغمة التي تقال بها الجملة تختلف في الحالتين.

ب- جملة النفي: [لا تغادر الفراش]؛ قد تعني النصح والارشاد وقد تعني الزجر والتهديد.

والنغمة حينما تقال بها الجملة تختلف في الحالتين[1].

ثانيا: الفونولوجيا:

عام 1930م نَظَّمَت مدرسة براغ اللسانية ندوة فونولوجية شارك فيها ممثلون من بلدان عدة، وتقرر فيها تأسيس جمعية للدراسات الفونولوجية، وفي المؤتمر العالمي الثاني لعلماء اللسانيات المنعقد في جنيف سنة 1931م خصصت جلسة كاملة لموضوع الفونولوجيا، كما اعتُبِر هذا العلم علما جديدا يبرز مسالك الأصوات وصفاتها على حسب رواد هذه المدرسة[2].

ومدرسة براغ استعملت مصطلح الفونولوجيا في عكس ما استعمله "دي سوسير" فهو – عندها – فرع أساسي من الألسنية يعالج وظيفة الظواهر الصوتية اللغوية، بينما "دي سوسير" استعمل الفونولوجيا مصطلحا معنيا بدراسة العملية الميكانيكية للنطق، فهو عنده علم مساعد للألسنية[3].

وقد استعملت المدرستان الأمريكية والانجليزية (الفونولوجيا) عنوانا لدراسة تاريخ الأصوات والوقوف على التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها[4].

[1] – حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص:289.

[2] – نيكولاي تروبتسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، تر، عبد القادر قنيني، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط1، 1994م، ص:05.

[3] – فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت، ط1، 1993م، ص:31.

[4] – أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 71.

I.مفهوم الفونولوجيا: (La phonologie / phonology)

هو جزء من علم اللغة، يدرس الأصوات الإنسانية من حيث وظيفتها في سياق الكلام، لذلك سماه بعض اللغويين "علم وظائف الأصوات" لأنه يدرس النظام الصوتي – للغة معينة– كاللغة العربية – مثلا – من حيث قيم هذه الأصوات ومعانيها، وقوانينها الصوتية، ووظائفها في التركيب الصوتي فينظم المادة الصوتية، ويخضعها للتقعيد والتنظيم، وتتسع دائرته ليدرس مع الفونيم (Phoneme) والمقطع والنبر، والنغم، ودور كل أولئك في تحديد معنى الكلمة، أو العبارة، وتمييزه هذا من ذاك[1].

فهو لا يهتم بالأحداث الصوتية الموضوعية والحسية والفيزيائية ولا يلتفت إلى المشكلات التي تتعلق بطبيعة الصوت، بل يولي جل اهتمامه إلى العناصر الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف المعنى (الفرق بين نقد ونقض، الفرق بين بال وخال، جال، صال، دال، عال ....)، وهو علم يعتبر اللغة كتنظيم أو كمجموعة متناسقة من الأصوات ترتبط بعلاقات مجردة تكتشفها عمليات عقلية صرفة وقيم خلافية بحتة[2].

وقد تُرْجِم مصطلح الفونولوجيا إلى العربية (علم وظائف الأصوات اللغوية) مقرونا بتعريبه إلى الفونولوجيا لأن علماء العربية المحدثين لم يتفقوا على ترجمة موحدة له[3]، بل تراهم قد ترجموه إلى:

- علم التشكيل الصوتي، ترجمة الدكتور: تمام حسان.
- علم الأصوات التنظيمي، ترجمة الدكتور: كمال بشر.

[1] – عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م، ص:35.
[2] – ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ص:31.
[3] – نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:123.

- علم الأصوات اللغوي، ترجمة الدكتور: محمود السعران.
- علم الفونيتيك – علم الصوتمية – علم الأصوات.
- علم الصواتية – علم الصوتية – علم التصويتية[1].

II. موضوع الفونولوجيا:

يبحث هذا النوع من علم الأصوات في خصائص الأصوات وصفاتها وما يطرأ عليها من تغيير في النطق في أثناء الكلام، وبيان ما يفقده الصوت اللغوي من خصائص، أو يكتسبه من صفات بمجاورته هذا الصوت أو ذاك[2].

كما تقوم الفونولوجيا بتحديد وظائف الأصوات وخضوعها لقواعد معينة في تجاورها وارتباطاتها وعلائقها المتبادلة (علاقة المخرج والجهر والهمس والانسداد والتضييق والتغليظ والترقيق ... الخ) ومواقعها وكونها في هذا الحرف أو ذاك وكثرة ورودها في حالات معينة وندرتها في حالات أخرى. كما تدرس الفونولوجيا نبر الكلمات والمفردات وتنغيم الجملة[3].

ويمكننا القول أيضا أن الفونولوجيا هي ذلك العلم الباحث في "الوظيفة الهامة للأصوات الأولية ضمن التركيب المشكل لسلسلة الكلام داخل عملية التواصل" ويراد بالوظيفة في هذا العلم " ما

[1] – عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص:25.
[2] – ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007م، ص:55.
[3] – ريمون طحان، الألسنية العربية، ص:55.

يؤدي إلى فرز الصفات ذات القيمة التمييزية من بين الصفات الصوتية الفيزيائية الحاضرة داخل تلفظ معطى، أي الصفات التي تم اختيارها من أجل ما يسمح بتبليغ خبر ما[1].

III. فروع الفونولوجيا:

إن الوحدات الصوتية ذات القيم الوظيفية ليست واحدة في كل اللغات ... وقد أظهر الاستقراء أن الوحدات الصوتية الشائعة والمستعملة في لغات العالم لا يزيد عددها على الثمانين وحدة صوتية ... بينما لا تستعين اللغات المنتشرة في أنحاء العالم إلا بنصف هذا العدد أو دونه ... أي بأربعين فونيما أو وحدة صوتية أو دون ذلك[2]. ونستطيع إيضاح فروع الفونولوجيا كما يلي:

أ- علم فيزياء الأصوات: عندما تقوم هذه الأخيرة بعملية التواصل.

ب- الفونولوجيا العامة: (La phonologie général): ويدرس التنظيمات الأصواتية المنتشرة، في لغات العالم كلها وقوانين قيامها بوظائفها، وقد وضع Hall نظريته المشهورة والتي حددت الشبكة العالمية الأصواتية والتي بينت كيف أنها تصلح لمعظم لغات العالم وكيف أن كل لسان يستمد منها بعض عناصره ليؤلف تنظيمه الأصواتي الخاص.

ج- الفونولوجيا الخاصة: وهو يدرس التنظيم الأصواتي الخاص بلغة معينة (فونولوجيا اللغة العربية مثلا) [3].

[1] - الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، ص:164.

[2] - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ص:37.

[3] - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ص:37-38.

د- الفونولوجيا المقارِنة: (La phonologie comparatif ou contrartif):

وهو يدرس الاختلافات الصوتية بين لغتين أو أكثر، ويقارن بين تنظيمين أصواتيين أو أكثر، ويستخلص أوجه التشابه أو التماثل والتخالف أو التمايز.

هـ- الفونولوجيا التعاقبية: (La phonologie aurdiachronique): وهو يقف على حالة تنظيم أصواتي في فترة معينة من تاريخ اللغة، معتمدا الطريقة الوصفية.

و- الفونولوجيا التعاصرية أو التزامنية: (La phonologie synchronique):

وهو يقف على حالة تنظيم أصواتي يستعمله المعاصرون، ولئن كانت الكتابة هي التي بلورت الفروق الفونولوجية وثبتتها في الألفباء وأحرف الهجاء فالكلام هو الذي يبين وظائف الأصوات، وما فيها من متطابقات ومتخالفات وقيم خلافية صوتية[1].

IV. التحليل الفونولوجي:

يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللغة باعتبارها عناصر رمزية تتكون منها اللغة، فلا يهتم علم الفونولوجيا بالخصائص النطقية والفيزيائية للأصوات باعتبارها هدفها في ذاتها، بل يهتم بها باعتبارها مجرد وسيلة لتحديد الصوت اللغوي في إطار اللغة الواحدة[2].

ويشير منهج التحليل الفونولوجي (هو الذي ينتقل من الجزء إلى الكل) إلى امكان تقسيم الوحدات الصوتية إلى الأقسام الآتية:

1-الفونيم: (Phoneme) وهو الوحدة الصغرى في هذا التحليل.

[1] - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، ص:38.

[2] - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، دط، دت، ص:36.

2-المقطع: (Syllable) وهو مجموعة من الفونيمات المركبة وفق نظام معين في لغة معينة.

3-مجموعة النبر: (Stress group) وهي عدد من المقاطع يتميز واحد منهما بوجود قدر أكبر من الضغط فيه، وتدعى هذه المجموعة بالقدم الصوتي[1].

4-المجموعة النغمية: (Tone group) وهي مجموعة تضم قدما صوتيا أو أكثر.

5- المجموعة النفسية: (Breath group) وهي تتابع صوتي تحدد بدايته ونهايته طاقة النفس، وحدها الأدنى هو مقطع واحد.

6-الجملة الفونولوجية: (Phonological-sentence) وهي تفوق المجموعة النفسية وتقابل الفقرة الموجودة في اللغة المكتوبة[2].

وفيما يلي سنعرض كل من العناصر الأربعة الأولى:

1- الفونيم:

مصطلح لساني حديث نقله الباحثون العرب إلى لغتنا بأكثر من صورة فقالوا: هو صوت، وصوتم، وصوتون، وصويتم ... إلخ، وشَفَّعَ كل باحث ترجمته للكلمة بمسوغات لغوية ومعنوية، والفونيم هو أصغر وحدة صوتية يمكن عن طريقها التفريق بين المعاني[3].

[1] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 141.

[2] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:142.

[3] - غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م، ص:153-154.

وهو الحصيلة النهائية للانطباعات السمعية (أي الصورة الذهنية التي تنتقل عبر جهاز السمع) وحركات النطق، أو هو الأثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة، ثم خلص إلى القول بأنه "وحدة مركبة لها جذر في السلسلة المنطوقة وآخر في السلسلة السمعية"[1].

وتبعث صورة الفونيم اختلافات صرفية ونحوية ومفهومية ودلالية ... (في ضربْتُ، ضربتَ، ضربتِ: تحمل التاء المتحركة معنى الشخص أي المتكلم والمخاطب ومعنى الجنس أي المذكر والمؤنث)، فالفونيم وسيلة لتحليل الكلمة إلى أصغر وحداتها الصوتية وهو يعمل كسمة وعلامة تحمل إشارات سلبية وإيجابية طبيعتها صوتية فونولوجية تفصل في قضايا التقارب وتميز كل عنصر صوتي عن غيره[2].

2- المقطع:

من الفونيم ينتقل التشكيليون إلى المقطع[3]، وهو مجموعة من الأصوات التي تمثل قواعد صوتية مكونة من أصوات صامتة تتلوها قمة مكونة من أصوات العلة، واتّفِقَ على كون هذه القمة نواة عالية الإسماع، على أنه يجب أن نضع في حسابنا أنه لا يمكن وضع حد محسوس للمقطع الصوتي، لأن الكلام الانساني متداخل الأجزاء، بحيث يكتسب الجزء القوي شيئا من ضعف الجزء الذي يليه أو الذي يسبقه أو العكس، وهذا التعريف صوتي فونيتيكي مجرد، وأما من الناحية الفونولوجية؛ فيعرف المقطع بالنظر إلى كونه وحدة في لغة على حده، وحينئذ لابد أن يشير التعريف المقطعي إلى عدد التتابعات المختلفة من السواكن والعلل زيادة على عدد من الملامح الأخرى مثل الطول والنبر

[1] – عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية، دار الجريسي، القاهرة، ط3، 2004م، ص:118.

[2] – ريمون طحان، الألسنية العربية، ص:62-63.

[3] – غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص:152.

والتنغيم، أو إلى العلل المفردة أو سواكن مفردة، تُعَدُّ في اللغة المعينة مجموعة واحدة، ولذا فإننا بحاجة أن ننظر إلى أي لغة فونولوجيا بمعزل عن اللغات الأخرى[1]. وبصورة أدق المقطع هو تقسيم طبيعي فوق البسيط للحدث اللغوي، بمعنى أنه وحدة صوتية:

1-أكبر من الفونيم

2-وتأتي بعد الفونيم مباشرة من حيث: أ- البعد الزمني في النطق

ب- والبعد المكاني في الكتابة.

مكونات المقطع:

يتكون المقطع من نواة تدعى "النواة المقطعية"، تكون هذه النواة مكونة عادة من صائت: أ- مصحوب في بعض اللغات بصامت واحد أو أكثر

ب- أو غير مصحوب، في بعض اللغات أي بصامت.

وتتصف مكونات المقطع: أ- بالاتحاد

ب- بنوع من التماسك النطقي

ج- بنوع من التماسك النفسي[2].

[1] - يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، دار الشروق، عمان، ط1، 2000م، ص:15.

[2] - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ص:93-94.

أنواع المقاطع:

1- مقطع مفتوح: (أو حر أو متحرك)، وينتهي هذا المقطع بصائت قصير أو طويل.

2- مقطع مغلق: (أو مقفول أو معوق أو ساكن) وينتهي هذا المقطع بصوت صامت[1].

3- مقطع مزدوج: وهو الذي يختم بصامتين[2].

3- النبر:

تتصل بالمقطع ظاهرة صوتية أخرى يسميها علم الصوت التشكيلي (النبر)، ويعرف النبر بأنه "نشاط فجائي يعتري أعضاء النطق في أثناء التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة" ينجم عنه وضوح في الأداء[3]، ويعني النبر ابراز مقطع من المقاطع في الكلمة أو الجملة عن طريق قوة ضغط الهواء المصاحبة للعملية الصوتية واستمراره وارتفاعه، يلاحظ أن أعضاء النطق تكون أكثر نشاط عند النطق بالمقطع المنبور.

ويعد النبر من أهم الوحدات الصوتية الأدائية التي تقوم بوظائف مختلفة، إذ يترتب على اختلافه لكثير من اللغات اختلاف معاني الكلمات[4].

وإذا كان النبر لا يؤثر في تغيير معاني الألفاظ العربية فهو في بعض اللغات الأجنبية عامل من عوامل التغيير المعنوي. إن تغيير موضع النبر في الكلمة الانجليزية قد ينقلها من زمرة الأسماء إلى زمرة

[1] - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ص:94.

[2] - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية، ص:183.

[3] - غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص:153.

[4] - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية، ص:183.

الأفعال، فإذا قصرت صوت /o/ من كلمة Report كانت اسما بمعنى تقرير، وإن أطلته أصبحت فعلا بمعنى يقدم تقريرا، ولذلك يعد النبر في هذه اللغة وأمثالها فونيما دلاليا هاما[1].

4- التنغيم:

هو تغيير في ارتفاع النغمة يخص سلاسل أطول من التي ينطبق عليها النبر، وغالبا ما يخص الجملة أو شبه الجملة[2].

ويخبرنا التنغيم أيضا عن هوية المتكلم، عن جنسه (حيث النساء أرفع وصوتهن أحد...)، عن سنه وحالته النفسية أو الجسمية، نفهم من كل ما سبق أن للتنغيم دورا فعالا في الكلام[3].

ولنفرض أننا نطقنا بجملة صيغتها التركيبية إخبارية، ولكن بطريقة استفهامية مثل جاء الولد؟" في هذه الحالة تكون وظيفة التنغيم تمييزية لأنه ينوب مناب "هل" وقد يظهر هنا أن التنغيم غير لازم في أنه يمكننا الاستغناء عنه بواسطة الحرف هل، ولكن في عاميتنا الجزائرية مثلا، لا نستعمل هذه الأداة ولا يمكننا التعبير عن صيغة الاستفهام إلا بواسطة التنغيم ويظهر أن التنغيم هو أداة للتعبير عن العواطف (التعجب، الغضب ...) وأن هذه الوظيفة لا تقل أهميته عن الوظيفة التبليغية البحتة[4].

[1] - غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص:153-154.

[2] - مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م، ص:43.

[3] - خولة طالب ابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص:82.

[4] - مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص:44-45.

ثالثا: التمييز بين علم الأصوات والفونولوجيا

جرى العمل في منتصف القرن التاسع عشر – تقريبا – على التمييز بين نوعين من دراسة الأصوات؛ الأول ذلك الذي يُعْنَى بما ينطقه الانسان فعلا وهذا اللون أطلق عليه مصطلح فوناتيك (Phonatic)، والثاني يتجاوز منطقة الواقع النطقي أو النطق الفعلي للإنسان إلى دراسة الأصوات اللغوية، وقد أطلق على هذه الدراسة مصطلح فونولوجي (Phonology). ولم يكن هذا التمييز معروفا من قبل، فكل دراسة لأصوات اللغة سواءا من ناحية النطق والواقع أو من ناحية قيمتها ووظائفها، وكانت تدخل تحت (علم الصوتيات) بصورة عامة[1].

وقد جاء التفريق أو محاولة التفريق بين الفونيتيك والفونولوجيا نتيجة لتقدم البحث في الأصوات عندما أُدرك أن الصوت الواحد أو ما كان يسمى كذلك هو في الواقع ذو صور نطقية عدة[2] هذه الصور المتعددة تتنوع بتنوع السياق الذي يقع فيه.

ويفرق الباحثين اليوم بين علمين أو بين فرعين للدراسة الصوتية للغة، فهم يتحدثون عن علم الأصوات وعلم الأصوات الفونولوجي وكلاهما يدرس اللغة من جانبها الصوتي وبينهما تكامل وجوانب اختلاف[3].

والداعي الذي جعل الدراسة الصوتية تنقسم إلى فونيتيك وفونولوجي هو أن الضرورة اللغوية اقتضت أن تكون للأصوات اللغوية رموز تتحقق بها عملية تدوين اللغة، ولما كان التمييز هو الأساس

[1] – عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، دط، 2009م، ص:43-44.

[2] – ينظر، كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000م، ص:67-68.

[3] – التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص: 130.

الذي تقوم عليه عملية الرمز، كان لابد أن يكتفي كل صوت برمز واحد، وهنا تبرز عقبة أمام تنفيذ هذا العمل[1].

إن الصوت اللغوي الذي نعده صوتا واحدا هو في الحقيقة عدة أصوات فليست للجيم العربية – مثلا– صورة واحدة وإنما تأخذ عدة صور تبعا للسياق الصوتي الذي ترد فيه وأيضا للبيئة أو اللهجة، فمثلا في القاهرة بمصر قد تنطق الجيم قريبة من الكاف في كلمة "مجتمع" وتنطق عادية في كلمة "جمع"[2].

ومن ثم فإن علم الأصوات يهتم بدراسة أصوات الكلام كما هي ويصفها بالنظر إلى الخصائص السمعية والنطقية أو بالنظر بينهما[3].

أما الفونولوجيا فتدرس أصوات اللغة باعتبارها رموز لغوية، فلا يهتم بالخصائص النطقية والفيزيائية للصوت باعتبارها هدفا في ذاته، والفرق بين البحث الصوتي والبحث الفونولوجي يتضح إذا أدخلنا المعنى في الاعتباط[4].

عندما تبدأ الدراسة من الصورة الصوتية وتندرج في طريقها لتصل إلى القوانين المجردة، فإنها تجد نفسها في مجال الفونولوجيا، أما إذا أخذت طريقها هذه المرة من القوانين المجردة وسارت في عملها حتى وصلت إلى الصورة الواقعية للأصوات فإنها تجد نفسها في مجال الفونيتيك....

[1] – عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، ص:44.

[2] – عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، ص: 44.

[3] – كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، 2001م، ص: 144.

[4] – ينظر، محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، دط، دت، ص:20-21.

إننا إذا علمنا أن الفونيتيك تختلف فقط عن الفونولوجيا في انتهاج طريق مخالف في سير الدراسة أدركنا أن مشكلة الحدود الفاصلة بين الظواهر الفوناتيكية والفونولوجية أصبحت غير ذات موضوع، لأن هذين النوعين من الظواهر متكاملين ومتعاونين في سبيل تحقيق أهدافهما الفردية والاجتماعية[1].

وبالرغم من هذه الاختلافات فإننا لا ننفي وجود علاقة بين العلمين، فثمة صلة قوية بينهما. ذلك أنهما فضلا عن دراستهما للأصوات يعتمد كل منهما على الآخر ويكمل كل منهما صاحبه، بحيث لا يعد الفرق بينهما في المنهج والأسلوب اللذين يحكمهما الهدف، فقد تهدف الدراسة إلى التركيز على الجانب المادي للأصوات من حيث نطقها وانتقالها وادراكها أو إلى التركيز على الجانب الوظيفي ومشكلاته[2]

[1] – كمال بشر، علم الأصوات، ص:81- 82.

[2] – عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، ص:49.

رابعا: الصوت والمعنى في التراث

يمثل القرن الثاني الهجري البدايات الرائدة لإدراك صلة الأصوات بالمعاني[1]، فقد عقدت العرب صلة وثيقة بين صيغة اللفظ والمعنى الذي يؤديه، حتى كادت معاني الصيغ تطرد في العربية، وكان من أوائل من نبّه على هذه العلاقة الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه في "الكتاب" وابن جني، وحذا حذوهم من جاء بعدهم، فزادوا ووسعوا واكثروا من الأمثلة والشواهد على هذا الباب[2]. فقد صرح السيوطي في مزهره بأن لفيفا من علماء العربية وأهلها كادوا يطبقون جميعا على إثبات المناسبة بين اللفظ والمعنى[3].

ولاشك في أن عقد الصلة بين الصيغة ومعانيها إنما هو نوع من عقد الصلة بين الصوت والمعنى، على أننا لا نقول بالصلة الطبيعية، وإنما هي هنا صلة وضعية ولكنها على أي حال تمثل علاقة قائمة في العربية بين الصوت والمعنى الذي يؤديه اللفظ[4].

وفيما يلي محاولة لعرض ما جاء عند كل من الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه وابن جني فيما يخص علاقة الصوت بالمعنى.

[1] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2002م، ص:233.
[2] – حسام سعيد النعيمي، ابن جني عالم العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990م، ص: 89.
[3] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: محمد أحمد جاد المولى، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص: 48-49.
[4] – حسام سعيد النعيمي، ابن جني عالم العربية، ص: 89.

I. الصوت والمعنى عند الخليل: (100هـ – 175هـ)

لقد اهتم مجموعة من العلماء العرب بالمباحث الصوتية، ومن هؤلاء العلماء نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعتبر أول عربي يتخذ طريقة جديدة يتذوق من خلالها الأصوات ليتعرف على مخارجها حيث يعد واحدا من رواد علم الصوت ومؤسسا للدراسات الصوتية عند العرب.

ونجده يقول في مادة (ص– و– ت): "صوَّت فلان تصويتا أي دعاه، وصات يصوت صوتا فهو صائت بمعنى صائح، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، ورجل صيّت أحسن الصوت، وفلان حسن الصّيت له صيت وذكر في الناس حسن.[1]

– الأساس الصوتي في معجم العين:

يعتبر هذا الكتاب أول معاجم الألفاظ الكاملة عند العرب، فقد روى السيرافي عنه أنه: عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة[2].

أما عن ترتيب الخليل للمادة اللغوية في معجمه فقد كان على أساس صوتي، وهو ترتيب الحروف على حسب مخارجها يبتدأ من الصدر ذاهبا إلى الشفتين بدءا بحروف الحلق فاللسان

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، ج7، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الوسام، بيروت، دط، دت، ص: 146.

[2] – ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، دار الصداقة العربية بيروت، ط1، 1995م، ص: 37.

فالشفتين[1]. وقد يكون مرد اعتماده الأساس الصوتي أنه عالم موسيقى وعَروض والأصوات أمر أساسي بالنسبة إليه[2].

وكان ترتيب الأصوات لديه كالتالي: (ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ى) وقد علل الليث حكاية عن الخليل تقديم العين على الحاء والهاء وما لاحظه من تغيير الهمزة فلم يبدأ بأي منها، وإنما بدأ بالعين لأنه الصوت الحلقي الأول الذي لا يتغير في الأبنية الصرفية وسمى معجمه باسم أول قسم فيه من كتاب "العين" الذي تلاه ببقية أصوات الحلق، متدرجا من الأعلى إلى الأسفل، فذكر باقي الحروف، حتى الحروف الشفوية وختم ترتيبه بأصوات العلة والهمزة[3].

كما حاول الخليل أن يظهر ضروب المعاني مع تقليب المادة وترتيب حروفها في موضع واحد، ومعنى هذا أن الخليل استطاع، عندما وضع معجمه بهذه الطريقة أن يحصي عدد الكلمات المعجمية العربية.

وقد استطاع الخليل أن يشير إلى الصيغ المهملة في كل التقليبات الثلاثية والرباعية والخماسية، فمدخل المواد بالنسبة للخليل أحرف ثلاثة توزع وفقا لعمقها الصوتي ثم تقلب تدريجيا[4]، وسنضرب

[1] – حامد صادق قنيبي ومحمد عريف الحرباوي، المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية، دار ابن الجوزي، عمان، دط، 2005م، ص: 33.

[2] – ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، ص: 38.

[3] – سعيد حسن البحيري، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2008م، ص: 256.

[4] – ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، ص: 39.

مثلا على هذا من كتاب العين: ورد في "باب العين والنون والقاف": عنق – قعن – قنع – نعق – نقع – فكل هذه المواد مشروحة ومستعملة[1]. أما مادة –عقن– فهي مهملة. (هذا عن اتباع الخليل الأساس الصوتي في معجمه).

أما عن علاقة الصوت بالمعنى عنده، فإن الخليل يعد منبع الاتجاه الذي تولى دراسة القيمة التعبيرية للأصوات ومدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار، فقد شغلته الألفاظ المعبرة عن أصوات المسموعات ورأى فيها أصوات محاكية للطبيعة، وحاول إثبات نوع من الصلة الطبيعية بين أجراس الحروف ودلالتها من جهة، ثم بين أنغام الألفاظ ومعانيها الكلية من جهة أخرى وفي ذلك النظر تبدو الأصوات والصيغ مترابطة مع الدلالة، وكأن هناك نتيجة ضرورية للإيحاء من تتابع الحروف أو بناء الكلمات[2].

وقد ذكر الخليل في "العين": "يقولون صلّ اللّجام يصلُّ صليلا، فلو حكيت ذلك قلت: صَلَّ تمدُّ اللام وتثقلها، وقد خففتها في الصلصلة وهما جميعا صوت اللجام، فالثقل مدّ والتضاعف ترجيع يخف فلا يتمكن لأنه على حرفين فلا يتقدر للتصريف حتى يضاعف أو يثقل فيجيء كثير منه متفقا على ما وصفت لك، وتجيء كثير منه مختلفا نحو قولك: صرَّ الجندب صريرا وصرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدًّا وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا. ونحو ذلك كثير مختلف.[3]

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، 168/1.

[2] – مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت، ص: 54.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، (المقدمة)، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، 56/1.

يبدو من خلال ما سبق ذكره أن الخليل كان ممن يذهب إلى وجود العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، والراجح أن الخليل أول من تنبه إلى ذلك وأشار إليه دون أن يصرح بأنه مذهب في تفسير نشأة اللغة كان ماثلا لديه[1].

لقد كان للخليل فضل السبق إلى القول بوجود وشيجة بين أصوات الطبيعة ودلالتها وهو ما يطلق عليه اللغويون المحدثون اسم الدلالة الصوتية[2].

إن هذا المنحى من التخطيط الصوتي هو الذي يرمي إليه الخليل في مقدمة العين ليخلص إلى صلة التفاعل الحقيقي بين الأفكار والأصوات ومن هنا يرى مهدي المخزومي أن الخليل لم يتناول اللغة بالدرس من قمة الهرم، ولكنه تناولها من القاعدة، فبدأ الدرس اللغوي بما يجب أن يبدأ به، بداه بدراسة الأصوات (الحروف) التي تتألف منها مفردات اللغة، ليعرف مواقع تلك الأصوات من جهاز النطق ويقف على خصائصها وما يترتب على تآلفها وتجاورها، واستطاع بذلك أن يفسر ظواهر لغوية لم تكن لتفهم دون فهم سابق لطبيعة الحروف وتفاعلها بتجاورها وتمازجها[3].

II.الصوت والمعنى عند سيبويه: (140هـ–180هـ):

جاء بعد الخليل تلميذه سيبويه، هذا الأخير حاول إكمال ما بدأه أستاذه الخليل في المجال الصوتي فخصص أبوابا من كتابه للمباحث الصوتية، كما تحدث عن كثير من القضايا الصوتية في ثنايا

[1] – محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980م، ص: 448.

[2] – خالد قاسم بني درمي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م، ص: 20.

[3] – مهدي المخزومي، الفراهيدي عبقري من البصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1989م، ص: 35.

الأبواب الأخرى وقد تناول فيها كثيرا من المظاهر الصوتية بما فيها الفونتكس (phonetic) وكذا ما يخص الفونولوجيا (phonology)، فذكر عدد الحروف العربية الأصلية، وقال هي تسعة وعشرون حرفا وبيَّن مخارجها وصفاتها[1].

وقد أفاد سيبويه من دراسة الخليل، فوسعها في (كتابه) بشكل منهجي دقيق عاقدا للأصوات أبوابا في الجزء الثاني من كتابه، أهمها بابا (الابدال، والادغام) وهما بابان كبيران تناول فيهما الأصوات تناولا جيّدًا[2]. ونجده يذكر عددًا من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني[3].

نحتاج إلى الوقوف أمام بعض المواضع في (الكتاب) لتأملها وبيان مدى وقوف سيبويه على ظاهرة العلاقة بين الأصوات ودلالاتها[4]، وهو ما جاء في كتابه في بداية الجزء الرابع مندرجا تحت: "هذا بناء الأفعال التي هي أعمال تعدّاك إلى غيرك وتوقعها به مصادرها"، حيث ذكر: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النّزوان والنّقزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع. ومثله العسلان والرّتكان. ومثل هذا الغليان، لأنه زعزعة وتحرّك. ومثله

[1] – مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1998م، ص: 158-159.

[2] – محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص: 453-454.

[3] – حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، دط، 1980م، ص: 284.

[4] – خالد قاسم بني دوسي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 22

الغثيان، لأنه تجيش نفسه وتثور، ومثله الخطران واللمعان، لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل ذلك اللهبان والصّخدان والوهجان، لأنه تحرك الحر وثؤوره، فإنما هو بمنزلة الغليان"[1].

نلمح في هذا النص التفات سيبويه إلى الدلالة المركزية المشتركة التي توحي بها البنية الصوتية لتلك المصادر (النّزوان والنّقزان) فهذه المصادر التي اشتركت جميعا في بنية صوتية واحدة هي صيغة (فَعَلَان) بما لها من سمات صوتية خاصة، وإذا تأملنا الدلالة المعجمية لتلك المصادر وجدناها تشترك جميعها في معنى مشترك بينها هو الحركة والاهتزاز والاضطراب، وهي تُعَبِر عن الشيء الذي تزداد حركته واهتزازه واضطرابه شيئا فشيئا ثم تطول حركته ويستمر اضطرابه حينا، ولا يكون هدوؤه فجأة بل يستمر زمنا حتى يهدأ[2]. فنلاحظ هنا رابطة المطابقة بين الصيغة وما تؤديه من مدلولات. ويعني هذا أنه يقول بوجود صلة بين اللفظ ومعناه، فالمصادر التي على وزن فعلان في رأي سيبويه تدل على الحركة المصاحبة للحدث[3].

III.الصوت والمعنى عند ابن جني: (322هـ – 392هـ):

في القرن الرابع الهجري برز العالم اللغوي الكبير أبو الفتح ابن جني، وقد صنف كتابين مهمين في مجال علم الأصوات اللغوية، فالأول سماه (سر صناعة الإعراب) والآخر (الخصائص)،

[1] – أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ط2، 1982م، ص:14.

[2] – خالد قاسم بني دوسي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 22-23-24.

[3] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 234.

وهذان الكتابان يعدَّان من المصادر الأساسية لعلم الأصوات اللغوية لما يحتويانه من موضوعات صوتية مهمة[1].

فاللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" كما حددها ابن جني منذ أكثر من ألف سنة. والأغراض، وهي المعاني أو الدلالات التي يراد نقلها من متكلم إلى مستمع، تستخدم الأصوات المنطوقة أو المكتوبة صورة لها. فهنا إذن جانبان، أحدهما مادي مسموع أو مرئي، والآخر إدراكي معنوي، وكلا الجانبين يؤثر في الآخر ويتأثر به[2].

كما نجد أن ابن جني يعد من أكثر المتحمسين لفكرة العلاقة بين الصوت والدلالة إذ يقول هناك صلة بين الألفاظ ومعانيها فقد بسط الحديث فيها وفصل القول في دقائقها ومنحها قيمتها الحقيقية[3]. فالألفاظ عند ابن جني دليل المعاني حيث يقول في الخصائص: "فأول ذلك عنايتها – أي العرب – بألفاظها، فإنها لمّا كانت عنوان معانيها وطريقا إلى اظهار أغراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها، وبالغوا في تعبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد[4].

وكذلك قوله: "أعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة وعليها أدلة وإليها موصل، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها قدرا صالحا من تثقيفها وإصلاحها"[5].

[1] – مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، ص: 166.

[2] – محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000م، ص: 39.

[3] – خالد قاسم بني دوسي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص:27.

[4] – أبي الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، دط، دت، ص:237.

[5] –ابن جني، الخصائص، 317/1.

ويقول في المحتسب: "واعلم أن العرب تقارب بين الألفاظ والمعاني إذ كانت عليها أدلة وبها محيطة. فمن ذلك قولهم في تركيب ع ص ر: ع س ر: ع ز ر، فالعصر شدة تلحق المعصور. والعَسَر شدة الخلق والتعزير للضرب: وذلك شدة لا محالة، فالشدة جامعة للأحرف الثلاثة"[1].

وفي دراسته لهذه الثروة اللغوية بلور ابن جني علاقة اللفظ بمدلوله إذ عقد لهذه القضية أربعة فصول في كتابه (الخصائص)، راح يتتبع فيها ذلك الاقتران الطبيعي بين الأسماء ومسمياتها، كما ركز على اثبات نوع من الصلة الطبيعية بين أجراس الحروف ودلالاتها على معانيها الكلية.

وهذه الفصول الأربعة هي:

1. تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني.
2. الاشتقاق الأكبر.
3. تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.
4. إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

وفيما يلي عرض لما جاء في هذه الأبواب على الترتيب.

1) باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني:

"هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل منها، فتجده مفضيَ المعنى إلى معنى صاحبه. ومن ذلك قولهم للقطعة من المسك: (الصُّوار) وهو على وزن (فعال) من صاره يصوره إذا عطفه وثناه.

[1] – ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ج2، تح: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، دط، 1994م، ص:06.

قال سبحانه: ﴿ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ ﴾ البقرة: 260، وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه وليس من خبائث الأزواح فيعرض عنه، وينحرف إلى شق غيره. وكذا نجد أيضا معنى المِسك. وذلك أنه (فِعْل) من أمسكت الشيء، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه، ولا يعدل بها صاحبها عنه، ومنه عندي قولهم للجلد: (المِسْك) هو فَعْل من هذا الموضع، ألا ترى أنه يمسك ما تحته من جسم الانسان وغيره من الحيوان ولولا الجلد لم يتماسك ما في الجسم من اللحم والشحم والدم وبقية الأمشاج وغيرها[1].

فقولهم إذا: مِسْك يلاقي معناه معنى الصُّوار، وإن كانا من أصلين مختلفين، وبنائين متباينين: أحدهما (م س ك) والآخر (ص و ر) ، كما أن الخليقة من (خ ل ق) والسجية من (س ج و) والطبيعة من (ط ب ع)، فالأصول مختلفة والأمثلة متعادية والمعاني من ذينك متلاقية، فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة. وإنما يسمع الناس هذه الألفاظ فتكون الفائدة عندهم إنما هي علم معنَّياتها[2].

2) باب الاشتقاق الأكبر:

يقول ابن جني: "الاشتقاق عندي على ضربين، صغير وكبير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو سلم ويسلم، وسالم وسلمان،

[1] - ابن جني، الخصائص، 2/113-117- 118.

[2] - ابن جني، الخصائص، 2/118- 121.

وسلمى والسلامة، والسليم: اللديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأوّلته وبقية الأصول غيره، وهذا هو الاشتقاق الأصغر[1].

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك (عنه) رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. ومن ذلك تراكيب (ق س و) (ق و س) (و ق س) (و س ق) (س و ق) وأهمل (س ق و)وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع، منها (القسوة) وهي شدة القلب واجتماعه، ألا ترى إلى قوله:

يا ليت شعري – والمنى لا تنفع – هل أغدون يوما وأمري مجمع

أي قوي مجتمع، ومنها (القوس) لشدتها، واجتماع طرفيها، ومنها (الوقس) لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد ويفحله، ومنها (الوسق) للحمل، وذلك لاجتماعه وشدته، ومنه استوسق الأمر أي اجتمع ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ الانشقاق: 17. وما وسق أي جمع، ومنها (السوق)، وذلك لأنه استحثاث وجمع للسوق بعضه إلى بعض، إذن فالمعاني وإن اختلفت معنياتها آوية إلى مضجع غير مُقِضّ، وآخذ بعضها برقاب بعض.[2]

[1] – ابن جني، الخصائص، 2/133-134

[2] – ابن جني، الخصائص، 2/133-134-136-137-139.

3)باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني:

يقول ابن جني في هذا الباب، هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلا مسهوا عنه. وهو على أضرب: منها اقتراب الأصلين الثلاثيين: كضيّاط وضيطار، ولوقة وألوقة، ورخو ورخود، وينجوج وألنجوج.

ومنها اقتراب الأصلين، ثلاثيا أحدهما، ورباعيا صاحبه، أو رباعيا أحدهما وخماسيا صاحبه[1].فمنه تداخل الثلاثي والرباعي كقولهم: سبط وسبطر ودمث ودمثر وحبج وحبجر[2].

ومنها التقديم والتأخير كما ورد في الباب الذي قبل هذا في تقليب الأصول نحو: (ك ل م) و(ك م ل) و (م ك ل) ونحو ذلك، وهذا كله والحروف واحدة غير متجاورة لكن من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني وهذا باب واسع. ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ مريم:83. أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزُّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهز مالا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك. (ومنه العسف والأسف، والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغظ من [التردد] بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين).

[1] – ابن جني، الخصائص، 145/2

[2] – حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 281.

وقد استعملوا تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و(ج ب ر) لتقاربهما في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك. منه الجبل لشدته وقوته وجَبُنَ إذا استمسك وتوقف وتجمع، ومنه جَبَرَت العظم ونحوه أي قوّيته.

وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين، نحو قولهم: السحيل والصهيل. وذاك من (س ح ل) وهذا من (ص ه ل) والصاد أخت السين كما ان الهاء أخت الحاء، ونحو منه قولهم (سحل) في الصوت و(زحر) والسين أخت الزاي، كما أن اللام أخت الراء.

وقالوا: أفل، كما قالوا: غبر، لأن أفل: غاب، والغابر غائب أيضا، فذاك من (أفل) وهذا من (غ ب ر) فالهمزة أخت الغين، والفاء أخت الباء واللام أخت الراء.

وهذا النحو من الصنعة موجودا في أكثر الكلام وفَرْش اللغة، ونحن نتبع هذا الباب بابا أغرب منه، وأدل على حكمة القديم سبحانه وتقدست أسماؤه[1].

4)باب في أمساس الألفاظ أشباه المعاني:

أعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقّته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته[2].

فالمصادر الرباعية المضاعفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة والقرقرة، ووجدت أيضا (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو

[1] – ابن جني، الخصائص، 2/146-149-152

[2] – ابن جني، الخصائص، 2/152.

البشكى، والجمزى، والولقى[1]، وصيغة (الفعلى) تنبه إليها ابن جني من خلال ما أشار إليه سيبويه فيما يخص صيغة فعلان ودلالتها[2].

فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر – أعني باب القلقلة – والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها. ومن ذلك – وهو أصنع منه – أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب، نحو استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح ...، فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال. وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها أنها وقعت عن غير طلب إنما تفجأ حروفها الأصول، أو ما ضارع بالصنعة الأصول فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه، ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة والاشفاق على الحرف المضعف أن يجيء في آخرها وهو مكان الحذف وموضع الاعلال، وهم قد أرادوا تحصيل الحرف الدال على قوة الفعل[3].وهذا أيضا من مساوقة الصيغة للمعاني. ومن ذلك أيضا قولهم: صعد وسعد. فجلعوا الصاد –لأنها أقوى– لما فيه أثر مشاهد يرى. وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك، وجعلوا السين – لضعفها – لما لا يظهر ولا يشاهد حسّا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد، لا صعود الجسم، ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجدّ، وهو عالي الجد، وقد ارتفع أمره، وعلا قدره، فجعلوا

[1] – ابن جني، الخصائص، 2/152-153.

[2] – ينظر، حسام سعيد النعيمي، ابن جني عالم العربية، ص:90.

[3] – ابن جني، الخصائص، 2/153-155.

الصاد لقوتها، مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة، وجعلوا السين لضعفها، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية[1].

وكذلك كقولهم: بحث .فالباء لغلظها تُشْبه بصوتها خفقة الكف على الأرض والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب[2]، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا فبأي شبهة تبقى بعده. أم أي شك يعرض على مثله[3].

في الأخير ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا القول بأن فكرة الصوت وما يؤديه من دلالة قد حظيت بأهمية بالغة عند العرب، فقد بدأ البحث عن طبيعة العلاقة بين الصوت ومعناه عندهم في وقت مبكر منذ أن واجهوا مشكل الآيات القرآنية واعجازها وذلك من خلال الدراسات والمباحث الصوتية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، وابن جني فالبذور وضعها الخليل، وتعهدها بالرعاية سيبويه ثم حان قطافها عند ابن جني[4].

[1] – ابن جني، الخصائص، 155/2 – 161.

[2] – محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 2000م، ص: 72.

[3] – ابن جني، الخصائص، 162/2.

[4] – عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، دار الفاروق الحرفية، مصر، ط2، 1981م، ص، 49.

خامسا: الصوت والمعنى في اللسانيات

يمتاز الدرس الصوتي عند العلماء المحدثين بالدقة والاتقان لتأثره بالمنهجية العلمية، وكان يُعْنى بدراسة الأصوات اللغوية المجردة ومعرفة خصائصها ومخارجها للوقوف على طبيعتها.

ونظرا للأهمية البالغة التي تحتلها فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة، لم يقتصر بحثها على الفلاسفة واللغويين المتقدمين، بل كان لها نصيب وافر في دراسات المحدثين، فقد تناولها بالبحث والدراسة عدد من علماء اللغة الغربيين، وعدد آخر من علماء اللغة العرب، وكان لهم فيها آراء متباينة.[1]

إن من أهم القضايا الدلالية التي تناولها علماء الألسنية والدلالة، مسألة الدال والمدلول والعلاقة بينهما، كانت القضية في بداية طرحها في الدرس اللغوي، تقتصر على اللفظ والمعنى، واتساع مجال علم الدلالة أضحت المسألة تتعلق بالدال والمدلول سواء أكان الدال لفظا أو غير لفظ، واللغة في الأخير ما هي إلا علاقات تربط دالا بمدلوله ضمن شبكة تنظيمية، ذلك أن الدال لا يحمل دلالة في ذاته إنما منبع الدلالة في تلك التقابلات الثنائية التي تتم على مستوى الرصيد اللغوي.[2]

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 49.

[2] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2001م، ص: 57.

I. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند الغرب المحدثين:

لقد بدأ الاهتمام بدراسة المعنى منذ أوائل القرن العشرين، وذلك بعد أن لفت اللساني الفرنسي "**بريال**" لفت أنظار اللسانيين إلى مشكلة المعنى واستعمل مصطلح **Semantique** في الفرنسية الذي انتقل إلى اللغات الأوروبية[1].

وما يمكننا قوله هو أن آراء المحدثين الغربيين كانت متفاوتة فيما يتعلق بمسألة الربط بين الألفاظ ومعانيها، حيث لم يتفقوا على رأي موحد في هذه الظاهرة، فمنهم من يرى وجود صلة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها[2].

ومن هؤلاء العالم اللغوي **همبلت Humbolt** (ت 1835م) يرى أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الآذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان[3]. بيد أن همبلت حين افتقد تلك الصلة في معظم كلمات اللغة ووجدها غامضة، ادّعى أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها قد أصابها بعض التطور، واختفت مع توالي الأيام[4].

ومنهم من صرح بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية، وربما كان أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم الذين يعتبرون نشأة اللغة على أساس من محاكاة الأصوات الموجودة

[1] – كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص: 245.

[2] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 241.

[3] – ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م، ص: 68.

[4] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 241.

في الطبيعة ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان ومنهم من رأى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكنه طبقا لإرادة إلهية[1].

نعود إلى همبلت فنراه يقول: إن هذه الرمزية أو المناسبة الطبيعية تظهر في الألفاظ ولكنها في وقت ما تبدو غامضة[2]. وقد تصدى **مدفيج Madvig** لهمبلت معارضا لفكرة أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها قد أصابها بعض التطور واختفت مع توالي الأيام، مبرهنا مدفيج على فساد تلك الفكرة، بأن أورد مئات من كلمات الفصيلة الهندية الأوربية، تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدل بها همبلت، وتخالفها في الأصوات[3].

وإذا كان **جسبرسن Jespersen** ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ومعانيها فإنه في الوقت نفسه يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات، وأن بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مرّ الأيام، في حين أن كلمات أخرى تكتسبها وتصبح واضحة بعد أن كانت لا تلحظ فيها[4].

ويسوق جسبرسن أمثلة لما يلحظ فيه من وجود وثوق الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها، ومنها على سبيل المثال: الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة، وهو ما يسمى بـ (الأونوماتوبيا)،

[1] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص:19.
[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 50-51.
[3] – ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م، ص: 144.
[4] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 241-242.

والألفاظ التي ترتبط بدلالاتها في بعض الحالات النفسية، كالكلمات التي تعبّر عن مشاعر الغضب أو النّفور أو الكره.[1]

وبعد هؤلاء اللغويين يتصدى للمسألة اللغوية الأمريكي **ويتني Whitney** (ت 1894م)، ويرفض أن تكون العلاقة بين الصوت والمدلول طبيعية، بل هي في رأيه اعتباطية، يقول: "إنَّ الدّالة **Singn** ترتبط بالمفهوم الذي تدل عليه بالاصطلاح **Conventional**، والارتباط بينهما ذهني فقط، ولو كان الارتباط طبيعيا أو داخليا أو لازما، لوجب أن يتبع كل تغير في المفهوم تغيّر في الدليل[2].

ولا تزال المناقشة مستمرة حول الارتباطات القائمة بين سلسلة صوتية معينة وحول مدى انعقاد الصلة التحكمية بينها وبين معنى معين منذ زمن **دي سوسير De Soussure** [3]، الذي يعد من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدّلالات[4]. وقد اهتم دي سوسير بمبدأ الاعتباطية اللغوية التي هي من أهم المفاهيم التي طرحها دي سوسير في محاضراته، وهو مبدأ ظفر باهتمام بالغ في الدراسات الحديثة[5].

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 53.

[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 53-54.

[3] – ميلكاايفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، دط، 2000م، ص: 364.

[4] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 243.

[5] – صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م، ص: 40.

خصص دي سوسير حيزا واسعا لدراسة مسألة الدال والمدلول، وأطلق الدليل اللساني على وجهي العملية الدلالية (الدال والمدلول) فالدال هو القيمة الصوتية أو الصورة الأكوستيكية، أما المدلول فهو المحتوى الذهني أو الفكري[1]. فالدال والمدلول عنده وحدة متكاملة ذات جانبين لا يمكن فصلهما أو عزل بعضهما عن بعض شأنهما في ذلك شأن صفحتي الورقة[2].

ويرى دي سوسير أن العلاقة بين اللفظ والمعنى كما يسميه (الدال) و (المدلول) أنها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد، إذ لا يستطيع المرء التعرف على المعنى الذي تشير إليه الأصوات عن طريق إيحائها بل يستطيع ذلك عن طريق الاتفاق العرفي بين أفراد الجماعة اللغوية[3].

أما **فندريس Vendryes** فيبدوا حائرا، فبعد أن أنكر العلاقة بين الأصوات ودلالاتها، وعدّ ذلك ضربا من الحماقة، نجده بعد ذلك يذكر كلمات يستشعر فيها وضوح العلاقة بين أصواتها وما توحي به من دلالات[4]. فقد قال: "ولكن من الحق أن كلمة **Fleuve** "نهر" معبرة لأن الأصوات التي تكونها صالحة تمام الصلاحية لإثارة الصورة التي تمثلها"[5].

[1] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص: 58.

[2] – كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب القاهرة، دط، 2005م، ص: 93.

[3] – ينظر، ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 70.

[4] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 55.

[5] – جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت، ص: 236. 236.

ويمكن القول أن فندريس يراوح بين المكانين، فيرى في ربط الأصوات بمدلولات معينة مرة حقا، ومرة أخرى يحتج على الفكرة ويحاول جهده أن ينفيها بالشواهد التي يذكرها ويبدو أنه مقتنع بالفكرة ولكنه لا يريد الخروج على رأي دي سوسير[1].

وأما **ستيفن أولمان S. Ullmann** فيعارض فكرة العلاقة بين الأصوات والدّلالات، ويردد على نحوٍ ما كلام دي سوسير، حيث يقول: "لا يوجد في اللفظ ما ينبئ عن المدلول، فبالإضافة إلى عدم وجود أيّة علاقة ظاهرة بين كلمة "منضدة" مثلا وما تدل عليه، هناك شيئان يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بينهما، مهما كانت هذه الصلة غامضة: الشيء الأول يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة، والثاني يتبلور في الحقائق التاريخية، فلو كانت معاني الكلمات كامنة في أصواتها لما أمكن أن تتغير في لفظها ومدلولها تغيرا يستحيل ربطه بالوضع الأصلي لها[2].

وفي ضل نفيه لوجود علاقة طبيعية أو ذاتية بين اللفظ ومعناه، استدل بقول "**جوليت**" (على لسان **شكسبير**: ماذا في اللفظ؟ إنَّ ما نسميه "وردة" سوف يحتفظ برائحته الزكية فيما لو سميناه باسم آخر)[3].

ثم يذكر أولمان ألفاظا يبدو لأصواتها قوة في التعبير عن مدلولاتها مثل: (قهقه)، فهي –كما يقول– كلمة معبّرة ووصفية إلى حد ما بالصيغة نفسها، والأصوات فيها دليل من دلائل المعنى، وفي

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 55.

[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 57– 58.

[3] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 243– 244.

استطاعة الأجنبي الذي لا يعرف مدلول هذه الكلمة أن يخمّن هذا المدلول تخمينا دقيقا إلى حدّ ما. وكذلك (تمايل) تترجم للحركة ترجمة بيانية دقيقة بوسائل صوتية. ويبدو من خلال هذا النص أن أولمان غير منكر للعلاقة بين الأصوات ودلالاتها إنكارا تاما، بل يراها متحققة في ألفاظ كثيرة، والدليل على ذلك أنه يذكر شواهد شعرية ومسرحية لكتَّاب تمكنوا – في رأيه– من توظيف الكلمات للإيحاء بالمعاني ولمحاكاة الأحداث[1].

ومن اللغويين كذلك من سلم تسليما كاملا بآراء دي سوسير، وأخذ يحتج على صدق هذه الصلة بين الصوت والدلالة، مثل: **سابير Sapir** (ت 1939م) الذي يقول إن الكلمات التي تبدو تقليدا للطبيعة ليست بأي معنى من المعاني أصواتا طبيعية ينتجها الإنسان بصورة غريزية أو تلقائية، إنها من خلق العقل الإنساني ومن تخيله، كأي شيء آخر في اللغة[2].

ونجد كذلك من قال بوجود علاقة مثل **لاسل كرومبي** الذي يقول "إن المعنى والصوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباطا لا يقبل التفرقة"[3].

فالصوت والمعنى مرتبطان ارتباطا لا انفصام له، فلا يجب أن يبحث الشكل فقط، بل وظيفته أيضا[4].

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 58.

[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 54-55.

[3] – جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م، ص:103.

[4] – بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، مصر،ط2، 2010م، ص: 77.

II. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب المحدثين:

إذا انتقلنا إلى الفكر اللغوي العربي الحديث، وجدنا أصداء العلاقة بين الأصوات ودلالاتها تتردد لدى بعض اللغويين العرب، فقد ناقشها عدد منهم، وكانوا فيها بين مؤيد ورافض.

ويأتي **أحمد فارس الشدياق** (ت 1888م) في مقدمة الفريق الأول والذي يعد من أوائل الذين بحثوا في وجود صلة قوية بين الألفاظ ومعانيها[1]، فقد ألف عدة كتب كان جل اهتمامه فيها منصبّا على العلاقة بين الأصوات ودلالاتها، وقد كان له فضل التوسع في هذا الرأي، واعطائه صفة الشمول، وجعله أصلا لمعجم يشد ألفاظ العربية إلى أرومات معنوية بأواصر قوية متينة[2]، ويشاطره في هذه الفكرة الدكتور **صبحي الصالح**: فهو لم يؤيد وجود صلة بين الألفاظ ومعانيها فحسب، بل وأعجب بهذا الرأي أيضا، فبعد أن عرض في كتابه "دراسات في فقه اللغة"، آراء ابن جني اللغوية، يبرز دور علماء العربية القدامى في رصدهم لظاهرة مناسبة حروف العربية لمعانيها[3]، فيقول: "أما الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية، إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض"[4].

---

[1] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 244.

[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 59- 61.

[3] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 244.

[4] – دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، دط، 2009م، ص: 142.

فكما أقر صبحي الصالح بدور علماء العربية وبالذات ابن جني في دراستهم للصلة الطبيعية بين اللفظ ومعناه، فإنه في الوقت نفسه قد اعتبر هذا الأمر فتحا مبينا في فقه اللغات[1]، فيقول: "أهل اللغة بوجه عام والعربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد فتحا مبينا في فقه اللغات عامة[2].

وقد دعم **محمد مبارك** رأي المؤيدين لوجود ارتباط بين الصوت والمعنى فإنه بعد أن عرض لدلالة الألفاظ الطبيعية والحروف الأبجدية، خرج بنتيجة ثاقبة مفادها أن للحرف في اللغة العربية إيحاءًا خاصا، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وايحاء، ويثير في النفس جوًّا يهيء لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به.

أما بالنسبة للمنكرين بوجود صلة طبيعية بين اللفظ ومعناه، من علماء العرب المحدثين فهم كثر ومن أشهرهم: تمام حسان، عبده الراجحي و رمضان عبد التواب.

فأما **تمام حسان**: فإنه بعد أن تبنى نظرية دي سوسير بالنسبة إلى العلاقة اللغوية للتفكير، عقَّب عليها[3] بقوله: "وليس في الفكر ما يفرض شكلا معينا للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا"[4]. ويرى في موضع آخر أن دلالة الألفاظ كلها اصطلاحية، فالعلاقة بين الكلمات

[1] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 244.

[2] – صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص: 151.

[3] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 245.

[4] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1990م، ص: 244.

ومعانيها هنا علاقة عرفية محددة بالاستعمال ومدونة في المعجم[1]. وفي مثل هذا نقرأ **لعبده الراجحي**: الذي ينكر وجود مناسبة بين الألفاظ ومعانيها إذ يقول: "غير أن اقتناع ابن جني بهذا الرأي، وإعجاب الدكتور صبحي الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون على رفضه، ويرون أنه ليست هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله، وليست هناك علاقة بين الرمز والشيء الذي يرمز إليه"[2]. وقد ذهب **رمضان عبد التواب** إلى ما ذهب إليه غيره من المنكرين لفكرة وجود علاقة بين الصوت والمعنى فبعد أن أورد في كتابه "المدخل إلى علم اللغة" أن بعض العلماء يرون بأن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية. بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب. عقّب على ذلك بقوله: فإنه لو صح هذا لاهتدى كل انسان إلى كل لغة على وجه الأرض[3].

وبعد أن عرضنا آراء المنكرين للفكرة من العرب المحدثين ننتقل إلى **ابراهيم أنيس** الذي نجده مؤيدا لهذه الفكرة تارة، ومعارضا لها تارة أخرى فهو يرى أن الصلة بين اللفظ ومعناه صلة اصطلاحية عرفية مكتسبة. وقد أخذ على العلماء الذين عرض آرائهم في كتابه دلالة الألفاظ، عدم تفرقتهم بين الصلة الطبيعية والصلة المكتسبة،[4]

فيقول: والأمر الذي لم يبدو واضحا في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الذاتية والصلة المكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالاتها،

[1] – تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م، ص: 124.

[2] – عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص: 68.

[3] – المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م، ص: 113- 114.

[4] – محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص:246.

ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولودها، وإنما اكتسبتها اكتسابا بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال.[1]

ما يمكنا القول بأن مواقف ابراهيم أنيس من هذه الفكرة متباينة: ففي حين سدد سهامه إليها، وأنكرها إنكارًا تامًا في المشهور من مواضعها، كالأصوات المسموعة وغيرها، يعود في موضع آخر إلى إثباتها، وذلك عندما اتخذ لنفسه طريقا معتدلا بين مؤيدي فكرة العلاقة بين الأصوات والدلالات ومعارضيها.[2]

[1] – ابراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، ص: 70.

[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص: 71.

الفصل الثاني

الصـوت والمعنـى في البيـان النبـوي

مدخل: بلاغة الحديث النبوي الشريف

أولا: مفهوم التكرار لغة – اصطلاحا

ثانيا: التكرار في الحديث النبوي الشريف

ثالثا: التكرار الصوتي في القرآن الكريم

رابعا: التكرار الصوتي في الحديث النبوي الشريف

مدخل: بلاغة الحديث النبوي الشريف:

يمتلك النبي ﷺ ما لم يمتلكه غيره من لسان فصيح ومعاني مسبوكة ومنظومة، تُنْصِتُ الآذان لسماعها، وتشرق القلوب بمعانيها، ولا يخفى علينا أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان فصيحا منذ صغره فهو لم يتكلف للفظ ولم يتصنع لمعنى، فكان طليق اللسان لا يستطيع أحد أن يماثله، وكيف لا يكون هكذا وهو النبي المصطفى والرسول المجتبى.

ويعتبر قول الجاحظ أدق وصف لبلاغته ﷺ حين قال "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونُزِّه عن التكلف ... واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي، لم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة وشُيِّدَ بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق. وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين الجباهة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام، ومع استغناءه عن اعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم يسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يُقِم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبد الخطب الطوال بالكلام القصير ... ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطالب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ... ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجلّ مذهبا، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحواه، من كلامه ﷺ"[1].

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، ص: 244– 245.

وقال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب " ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام، ما جاءنا عن رسول الله ﷺ"[1].

وقالت أم معبد في وصفها له ﷺ: "حلو المنطق فَصْل، لا نزار ولا هذر، وكأن منطقة خرزات نُظِمْن، وكان جهير الصوت، حسن النعمة ﷺ"[2].

ومن هنا وجب علينا التطرق إلى أهم خصائص البلاغة النبوية وهي:

I. الأداء:

لم تكن فصاحة الرسول ﷺ مقصورة على جودة الأسلوب وعمق المعنى بل جاوزت ذلك إلى الأداء، فكان ﷺ ضليع الفم يستعمل فمه جميعه إذا تكلم، فلا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب، وكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم إلا في حاجة وإذا تكلم لم يسرد بل فصل وتمهل وأبان ورتل وما يؤكد هذا الحديث ما رواه البخاري والترمذي عن أنس "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ... ولو أراد العاد أن يحصي كلماته لأحصاها وكان كلامه فصلا يفهمه كل من سمعه". وكان عليه الصلاة والسلام يعطي الكلام ما يستحق من اللهجة حتى أنَّ ما يختلج في صدره كان يبدوا على وجهه، وقد وصفه جابر فقال: "كان إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم"، وكان لحركته وإشاراته موضع كبير في إجادة الأداء،

[1] – مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تح: أبي عبد الرحمن البحيري، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، دط، دت، ص: 14.

[2] – محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، ج1، دار أضواء السلف، الرياض، ط2، 1997م، ص:17.

فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر فإذا أراد ذكر القلب أشار إلى صدره، كما في قوله ﷺ "التقوى ههنا"[1].

II. المعنى:

إن في معاني الحديث طلقات عديدة. قَلَّ أن تجتمع في كلام سواه، ومن هذه الصفات الغنى في الأفكار، والعمق، والجدة، والإحكام والإنسجام والتسلسل والغوص في أغوار النفس الانسانية وملامسة أبعاد هذه النفس، ما مكّن لهذه المعاني أن تكون خالدة على وجه الدهر.[2]

وإذا تمعنت وتعمقت في الحديث النبوي ستقف على معنى جديد وأصدق قول يلخص ذلك قول الرافعي: "إنه كلما زدته فكرا زادك معنى"[3].

III. الأسلوب:

عندما نتكلم عن أسلوب الحديث النبوي فإننا نعني به الجمال في السبك، والجزالة في الديباجة، والوضوح في الدلالة والبعد عن التكلف. فمن جزالة ألفاظه ما نلحظه في قوله ﷺ: "يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح. أنت فيما يكفيك، وتطلب ما

[1] – محمد صباغ، الحديث النبوي مصطلحاته وبلاغته وكتبه، ص: 56-57.

[2] – محمد صباغ، الحديث النبوي مصطلحاته وبلاغته وكتبه، ص: 59.

[3] – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،ج3، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص:08.

يطغيك، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع" فانظر إلى هذا الكلام ما أجزله وما أوضحه لبيان ما اشتمل عليه وما تناوله[1].

أما عن بعده عن التكلف فإن الله عز وجل ذكر ذلك في محكم تنزيله حين قال ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ص: 86-88. لأن التكلف في كل أمر يحبط تأثيره، ويلقي على صاحبه ظلا من الكراهية والاستثقال، وأظهر ما يكون التكلف في قول يقال، لأن السامع لا يفتح صدره لمن يلمس فيه هذا الخلق الثقيل ومهما كان قوله صائبا صحيحا فإن التكلف يجعله أشبه بالقول المخطئ. لذلك كان بيان محمد ﷺ سهل المأخذ قريب المتناول موجز العبارة لو عدَّه العاد في مجلس من مجالسه لأحصاه.[2]

IV. الإيجاز:

لقد جمع الحديث النبوي المعاني الغزيرة في الجمل القصيرة، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان كثير الإيجاز، حتى طغت سمة الإيجاز على الحديث الشريف، ومن هنا أصبح الإيجاز خاصية من خصائص الحديث النبوي، وخير ما دلّ على هذا قول صاحب الصناعتين: "فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه، وإن أردت أن تعرف ذلك فحلها وابنها بناءا آخرا فإنك تجدها في ضعاف هذه الألفاظ"[3]

[1] – يحي بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لإبراز البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1، دار الكتب الخديوية، مصر، دط، 1223هـ، ص:117.

[2] – محمد رجب البيومي، البيان النبوي، ص: 247.

[3] – أبي هلال العسكري، الصناعتين في النثر والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981م، ص: 198.

كما أن ابن رشيق عرض عدة أحاديث نبوية يتمثل فيها الإيجاز ودعم قوله بـ :"ومثل هذا كثير في كلامه ﷺ، ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالإيجاز، وقد قال أعْطِيتُ جوامع الكلم"[1].

فكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعنى.[2]

ومن جواهر إيجاز رسول الله ﷺ وإعجازه قوله حكاية عن الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" وكذلك قوله: "إن من البيان لسحرا"[3].

وأخيرا ما أثمرت بلاغة مثل ما أثمرته بلاغة السماء في القرآن الكريم، ثم بلاغة الأرض في كلامه ﷺ [4]، فبلاغته تتربع على قمة البيان البشري في أي موضوع من الموضوعات، وفي كل فن من الفنون[5].

فالحديث النبوي نجده قد اكتمل من الجانبين الأدبي واللغوي وبخاصة الجانب اللغوي، فقد وازن ﷺ بين كل مستويات اللغة الصوتي، الصرفي، النحوي والمعجمي.

إن من بلاغة النبي ﷺ استعماله لعدة وسائل من أجل التبليغ وإيصال الدعوة، ونحن في هذا المقام سنقتصر على التكرار عنده ﷺ، وهو أسلوب تعبيري معروف استعمله العرب في كلامهم لغايات

[1] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج1، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000م، ص:244.

[2] – محمد أبو العلاء الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مكتبة الرشد، الرياض، دط، 2007م، ص: 65.

[3] – مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، ص: 717– 718.

[4] – محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، ص: 22.

[5] – محمد أبو العلاء الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ص: 9.

متعددة فأحسنوا تارة وأساؤوا تارة أخرى. إلا أن استخدام الرسول ﷺ للتكرار كان صائبا في كل أحاديثه يفي بالغرض المنشود.

فما هو التكرار؟ وما المكرر في أحاديثه ﷺ؟

أولا: مفهوم التكرار:

أ- لغة:

جاء في قاموس الفيروز أبادي: كرّ عليه كرًّا وكُرُوراً وتَكْرَارًا: عطف وعنه رَجَعَ، فهو كَرَّارٌ ومِكَرٌّ بكسر الميم وكرَّرَه تكريرًا وتَكْرَارًا وتَكِرَّةً، كَتَحِلَّة وكركره: أعاده مرَّة بعد أخرى[1]، والكرَّة: المرة، والجمع الكرَّات ويقال: كررت عليه الحديث وكَرْكَرْتُهُ إذا رددته عليه، والمكرر من الحروف: الراء[2].

ب- اصطلاحا:

هو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو يريد في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والدّيار.[3]

[1] - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص: 469.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، 135/5.

[3] - عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، ص: 136.

ويعرفه رمضان الصباغ: "المراد بالتكرار هو إعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر أو مواضع متعددة"[1].

من خلال هذا المفهوم نجد أن التكرار يُحَدَّد كأحد الظواهر اللغوية أي كونه يوجد في اللغة مثله مثل الترادف او المشترك اللفظي على سبيل المثال ويظهر في صورته البسيطة والمركبة أي يرد في شكل كلمة مفردة أو أكثر ويعاد ذكر الكلمة أو العبارة في موضع أو أكثر شريطة أن يكون إعادة الصورة بلفظها ومعناها معا.

فاللفظ المكرر – بوجه عام – مصدره الثورة وهدفه الإثارة حبّا أو بغضا، في أي غرض من أغراض الكلام، والتكرار مرتبط بقانون التردد، من قوانين تداعي المعاني، ولذلك يُعد وسيلة من وسائل التقرير، ويرجع أثر التكرار إلى أنه يزيد الشيء المكرر تميزا عن غيره.[2]

[1] – رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر – دراسة جمالية –، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2002م، ص: 211.

[2] – عز الدين علي السيد، التكرير في المثير والتأثير، ص: 136.

ثانيا: التكرار في الحديث النبوي الشريف:

يقدم الحديث النبوي الشريف الكثير من النماذج العظيمة، فهو يغني اللغة العربية بالصياغات المحكمة الفريدة، كما أغناها بالألفاظ المتنوعة والتراكيب والأساليب المبتكرة، فمن بين الأساليب التي استخدمها الرسول ﷺ أسلوب التكرار الذي عَبَّرَ من خلاله عن أغراض عدة.

لقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب التكرار في أحاديثه، فنراه يعيد اللفظ نفسه أو العبارة نفسها لدواع مختلفة وهو أمر طبيعي كما أشار علماء البلاغة، ذلك أن طبيعة مهمة النبي ﷺ تدعوه لاتباع هذا الأسلوب ليدرك السامع المراد وقد وردت عنه عبارات أو ألفاظ استخدمها في ظروف مختلفة، والتكرار اللفظي عنده أنواع فقد يكون المكرر حرفا واحدا في كلمة واحدة، وقد يكون كلمة أو عبارة أو صيغة أو أداة.

فأما عن تكرار الصوت في الكلمة الواحدة مثلا فله معناه ومدلوله المعنوي والموسيقي، فقد يحكي اللفظ حالة المتكلم أو يشير إلى معنى اللفظة نفسها، فهو يمثل بتكرار حرفيه تكرار المعنى الذي هو أصل مادته، سواء كانت فعلا أو صوتا.[1]

وهو ما أشار إليه ابن جني قديما في حديثه عن لفظ الزعزعة والقلقلة والصلصلة[2].

ويتضح أثر التكرار في المعنى إذا تذكرنا أن أصل اللغة هو محاكاة أصوات الطبيعة، يقول ابن جني: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح

[1] – أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، مج،26، ع1+2، 2010م، ص: 79-80.
[2] – ابن جني، الخصائص، 52/2.

وحنين الرعد وخرير الماء ونعيق الغراب وصهيل الفرس ..."[1]. وهو ما أكده المحدثون أيضا من علماء اللغة فأرجعوا بعضها إلى روابط طبيعية والأخرى إلى روابط وضعية. وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الواحد وافي: "... أما الروابط الطبيعية فأساسها محاكاة الأصوات، فكثير من الكلمات دالة على أصوات الانسان والحيوان والأشياء، وبعض الكلمات دالة على الأفعال التي يحدثها الانسان أو غيره، تحاكي أصواتها – في صورة ما – أصوات الظواهر التي تعبر عنها. فمن الكلمات الدالة على أصوات الانسان: القهقهة، والتمطق (حكاية صوت المتذوق إن صوت باللسان) والدندنة (كلام نسمع نغمه ولا نفهمه) ... أما النوع الثاني وهو العلاقة الوضعية فيكون بالاشتقاق العام والاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر"[2].

وكما كرر النبي ﷺ الحرف الواحد في اللفظة، فقد يكرر عبارة في مناسبات مختلفة ولغايات شتى، وهو منهج معروف عنده، ومن هذه العبارات قوله ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط فذلكم الرباط"[3]. فكرّر العبارة ثلاث مرات في موقف واحد لبيان أهمية ما ذَكر ولفت الانتباه إليه.

ونجد الرسول ﷺ يكرر أحيانا لفظة بعينها ومن هذا القبيل تكراره للفظة الله في قوله: "الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم.

[1] – ابن جني، الخصائص، 1/ 46-47.

[2] – علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط3، 2004م، ص: 136-137.

[3] – الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج1، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1978م، ص:73.

ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه"[1]، فقد جاء هذا الحديث مفعما بالتكرار، فلم يكرر هذا اللفظ فقط بل كرر عددا من الألفاظ أيضا كـ: أحبهم، أبغضهم، آذاهم، فصدّر الحديث بتكراره للفظ الجلالة لبيان حرص النبي ﷺ على اكبار أصحابه واكرامهم وعدم التعرض لأي منهم، والمعنى احذروا غضب الله بسبب النيل من أصحابي، ويؤكد هذا الشعور ما ورد في الحديث من التكرار لبعض الألفاظ الأخرى، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ... إلخ[2].

والواضح من خلال ما جاء في هذه الأحاديث من تكرار أنه يحمل غرضا بلاغيا يفهم من خلال السياق.

بعد هذا التقديم النظري لأنواع التكرار عند الرسول ﷺ الذي رأيناه ضروريا، فإننا سَنُعْنَى بدراسة التكرار الصوتي – بالتحديد– في الحديث النبوي الشريف الذي يأتي على صيغة الرباعي المضاعف (فعلل) وقبل ذلك فمن باب اللزوم وجب علينا أن نقف على بعض ما جاء في القرآن الكريم من تكرار صوتي ورد على وزن (فعلل)، ذلك أن الرسول ﷺ كان يحاكي القرآن في ألفاظه وأساليبه المختلفة.

[1] – الترمذي، الجامع الكبير، ج6، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1998م، ج6، ص: 169-170.

[2] – أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، ص: 88.

ثالثا: التكرار الصوتي في القرآن الكريم:

ذهب جمهور البيانيين والمفسرين إلى القول بالتكرار في البيان القرآني، واعتبروه تكرارا حكيما مقصودا وأسلوبا بلاغيا رفيعا، كما اعتبروه تكرارا (مضيفا) يضيف القرآن الكريم فيه في كل مرة جزءا من المعنى، أو لفظا جديدا ويفعل ذلك لهدف بلاغي وحكمة مرادة.[1] فتتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه والايحاء بما يدل عليه معتمدا في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد.[2]

وكما يقول مصطفى الرافعي: "فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جُمَلِهِ ألحانا لغويه رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة ... ولترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكرير...[3]

ولذا كان استعمال القرآن للأفعال التي جاءت على وزن (فعلل) الرباعي المضاعف، الذي صور المعني أبهى تصوير وأروع تعبير فجاءت منسجمة مع سياقاتها الواردة فيها ، ويمكن حصر الأفعال التي جاءت على صيغة (فعلل) في الجدول الآتي:

[1] – صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، الاردن، ط1، 2000م، ص: 310.
[2] – محمود أحمد نحله، دراسات قرآنية في جزء عم، دار العلوم العربية، بيروت، دط، 1989م، ص: 160- 161.
[3] – مصطفى صادق الرافعي ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 214، 215 .

الأيـــــــــــة	اللـفـظـة
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ آل عمران: 185	**زحزح**
2- ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ يوسف: 51.	**حصحص**
3- ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء: 94	**كبكبوا**
4- ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فصلت: 16.	**صرصرا**
5- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ الشمس: 14.	**دمدم**
6- ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة: 1 .	**زلزل**

ويمكن تحليل ما ذُكر في الجدول السابق على النحو الآتي:

1- زحزح:

في اللغة مأخوذة من زَحَّ الشيء يَزُحُهُ زَحًا: جذبه في عجلة، وزَحَهُ يَزُحُهُ زَحًا وَزَحْزَحَهُ فَتَزَحْزَحَ، دفعه ونحاه عن موضعه فتنحى وباعده ومنه يقال زَاحَتْ علته وأَزَحْتُهَا، وقيل هو مأخوذ من الزَوْح وهو السوق الشديد.[1]

فلفظه زحزح وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ** ﴾ أل عمران: 185. وقد صورت هذه الآية موقفا من مواقف يوم القيامة، (فمن زحزح عن النار) أي بعد عنها يومئذ ونجى، والزحزحة في الأصل تكرير الزح.[2]

أفلا نجد في كلمة زحزح ما يوحي إليك بهذا القلق الذي يملأ صدور الناس في ذلك اليوم لشدة اقترابهم من جهنَّم وكأنما هم يبعدون[3] أنفسهم عنها في مشقة وخوف وذعر. فهذا المشهد يرسم صورة لقوة العذاب لا يرسمها مباشرة، ولا يبرزها مواجهة، إنَّما هو يدع الألفاظ تلقي ظلالا معينة، فجهد

[1] – ابن منظور، لسان العرب، 2/ 468.

[2] – أبي السعود محمد بن محمد العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، تح: أحمد حسن فرحات، دار احياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ص: 123.

[3] – أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، دط، 2005م، ص: 58.

الزحزحة وهي الحركة البطيئة العنيفة نفسها ترسم صورة لمعناها[1]. وكذلك يُخَيَّلُ أن هناك أياديا كأنما تجذب الإنسان جذبا شديدا من الناحية الأخرى لتزحزحه عن النار فهو لا يتزحزح من تلقاء نفسه.[2]

وبالنظر إلى الجانب الصوتي فإننا نلمس من خلال اقتران حرفي الزاي والحاء المكررين إعطاء المشهد صورة في غاية الجمال.

فالزاي صوت أسناني لثوي رخو مجهور صفيري، بينما الحاء حلقي رخو مهموس مرقق.[3] والتكرار هنا جعل التناوب مستمر في وقوع الحركة وأعطى قوة مؤثرة في المزحزح عن المكان على الرغم من عدم حركته وإرادته إلا بواسطة الغير لهول الموقف.

2- حصحص:

أصل الحَصْحَصَة في اللغة الحركة في الشيء حتى يستقر فيه ويستمكن منه والحَصْحَصَة بيان الحق بعد كتمانه، وحَصْحَصَ الحق، ولا يقال حُصْحِصَ الحق.[4]

وورد الفعل حصحص بصيغة الرباعي المضاعف على وزن (فعْلل) في موضع قرآني متفرد بقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ يوسف:51

[1] - سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط14، 2002م، ص:238.

[2] - محمد قطب ،دراسات قرآنية، دار الشروق، بيروت، دط، دت، ص:397.

[3] - تمام حسان، مناهج البحث من اللغة ، ص:99- 103

[4] - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، 14/3.

وقوله حَصْحَصَ الحق أي ثبت واستقر أو تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل، وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الأراضي[1].

وتشير امرأة العزيز إلى أن الحق في هذه القضية كان في رأي الذين بلغهم موزع التبعة بيننا معشر النسوة وبين يوسف، لكل منا حصة بقدر ما عرض ما من شبهة، والآن قد ظهر الحق في جانب واحد لا خفاء فيه ولا شبهة عليه، فإن كانت النسوة شهدن بنفي السوء عنه وهي شهادة نفي فشهادتي له على نفسي شهادة إثبات.[2] فالجامع واحد في معنى الإبانة والانكشاف بعد كتمان وخفاء.

فأما عن اجتماع حرفي الحاء والصاد مكررين فله أثر في توجيه المعنى ولا غرور في ذلك فالصوتيون جعلوا لكل حرف مخرج وصفة يتميز بما عن غيره[3]. فالحاء حرف حلقي استمراري مهموس احتكاكي.[4] أما الصاد أسناني لثوي أقوى من غيره لأنه إطباقا واستعلاء وصفيري.[5]

[1] – أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،4/ 284.

[2] –أحمد نوفل، سورة يوسف– دراسة تحليلية –، دار الفرقان، الاردن، ط2، 1999م، ص: 438.

[3] – دفة بلقاسم، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، بسكرة، جوان، 2009م، ص:9.

[4] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 319.

[5] – أبي مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة، دار عمار، الاردن، ط3، 1996م، ص:116.

وهذا الاقتران الثنائي للحرفين المكررين له دلالته في بزوغ نور براءة يوسف عليه السلام فاتحاد الصفات العامة الهمس والرخاوة وهما ضد الجهر والشدة، جعل الحرفين ضعيفين إذْ الهمس هو الحس الخفي الضعيف، فالصاد يدل على أن ثمة تنازعا في حركة الظهور والاختفاء وصفيرها ليقرع الأسماع التي وقرت آذانها على سماع الحق، لبراءة سيدنا يوسف عليه السلام وكأن اللفظ بجرسه يسير خطى متعثرة ومتعرجة ليبين ثنائيتا الحق والباطل.[1]

3- كبكب:

أصل الكَبِّ في اللغة هو سقوط الشيء على وجهه وحرفا الكاف والباء أصل صحيح يدل على جمع وتجميع لا يشذ منه الشيء[2]. والكَبْكَبَة الرمي في الهُوَّة. وقد كَبْكَبَه. وفي التنزيل العزيز (فكُبْكِبُوا فيها هم والغاوون) قال الليث أي دُهْوِرُوا وجُمِعُوا ثم رمى بهم في هوة النار، وقال أهل اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا لقى ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها[3]. وكَبْكَبَهُ قلب بعضه على بعض وهو مضاعف الرباعي وحروفه كلها أصول عند جمهور البصريين[4]. والكَبْكَبَة تكرير الكَبّ جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى[5].

[1] – دفة بلقاسم، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: 7.

[2] – أبي الحسن أحمد ان فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج5، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، دط، دت، ص: 124.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، 695/1.

[4] – عبد الحميد مصطفى السيد، الأفعال في القرآن الكريم، ج2، دار حامد، عمان، ط2، 2007م، ص: 1150.

[5] – فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار التنزين، بغداد، دط، 1970م، ص: 289.

ومنه فإن الآية: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء: 94 فقد سيقت في معرض بيان حال أهل الشرك يوم القيامة، وما سيؤول إليه أمرهم، ولا مناص من الوقوع في النار، وصَوَّر لنا هذا المشهد القرآني بلفظة (كُبْكِبُوا) بأروع ما تحمله من معان ودلالات إذ يحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها ويصورها للسامع أدق تصوير[1].

ومعنى (كَبْكِبُوا) كُبُّوا فيها كبًّا، فإن (كبكبوا) مضاعف كبوا بالتكرير وتكرير اللفظ مفيد لتكرير المعنى[2]

أما من الجانب الصوتي فإن ارتباط صوتي الكاف والباء في لفظة (كبكبوا) له أثره الجليل على المعنى فصوت الكاف طبقي شديد مهموس مرقق، وصوت الباء شفوي شديد مجهور مرقق[3].

وإننا لنكاد نتصور أولئك المجرمين يكبون على وجوههم ويلقون إلقاء المهملين فلا يقيم لهم أحدا وزنا[4]. وكأننا لنسمع في كلمة (كبكبوا) من جرس اللفظ صوت دفعهم، وسقوطهم بلا انتظام، وصوت الدبدبة الناشئ من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتعبه الجروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وأنهم لغاوون وقد كبكب معهم جميع الغاوين هم وجنود إبليس أجمعون فهو تعميم شامل بعد تخصيص[5].

---

[1] – ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية، بغداد، دط، 1980م، ص: 169.

[2] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، الدار التونسية، تونس، دط، دت، ص: 152.

[3] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 91-95.

[4] – محمد اسماعيل الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م، ص: 366.

[5] – سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص: 133- 134.

4- صرصر:

يقال ريح صِرٌّ وصَرْصَرٌ، شديدة البرد، وقيل شديدة الصوت، والصُّرَّ النبات أصابه الصَرّ وصَرّ يَصِرُّ صَرًّا وصَرِيرًا وصَرْصَرَ: صَوَّتَ وصَاحَ أشد الصياح وصَرْصَرَ الطائر: صَوَّتَ، وخص بعضهم به البازي والصقر[1].

وقد ذكرت (صرصر) في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فصلت: 16، وهي تعني الريح العاصفة التي يكون لها صرصرة أي دوي في هبوبها من شدة سرعة تنقلها، وتضعيف عينه للمبالغة في شدتها بين أفراد نوعها وأصله صر، أي صاح وهو وصف لا يؤنث لفظه لأنه يجري إلا على الريح وهي مقدرة التأنيث[2].

ففي لفظة (صرصر) التي جاءت على صيغة (فعلل) تكرار لصوتي الصاد والراء فصوت الصاد يحمل إلى سمعك صوت الريح العاصفة[3]. وهو أسناني لثوي رخو مهموس صفيري والراء لثوي تكراري مجهور انفجاري يرفرف اللسان عند النطق به[4]. وفي ذلك ما يوحي بقوة الريح وذروتها، وزاد دلالة

[1] – ابن منظور، لسان العرب، 4/450-451.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/259.

[3] – أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 60.

[4] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 100-104.

على تكرر الريح العاتية المهلكة، وذلك تصوير شيق دعمه حسن اختيار هذه الأصوات بما تحمله من صفات وخصائص، وزاده إيحاء تكرارية الأصوات ذاتها[1].

5- دمدم:

في اللغة يقال دَمَّ الرجل فلانا إذا عَذَّبَهُ عذابا تاما ودَمْدَمْتَ الشيء إذا ألزقته بالأرض وطَحْطَحْتَهُ، وكذلك يقال ناقة مَدْمُومَة أي ألبسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه[2].

وقد ورد الفعل (دمدم) على وزن الرباعي المضاعف ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا** ﴾ الشمس: 14. أي صاح عليهم صيحة غضب، والمراد بهذه الدمدمة صوت الصاعقة والرجفة التي أُهْلِكُوا بها. وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض، ويقال دَمَّمَ عليه القبر إذا أطبقه، ودَمْدَمَ مكرر دمم للمبالغة، وفرع على "دمدم عليهم" "فسواها"، أي فاستَووا في إصابتها لهم، فضمير النصب العائد على الدمدمة المأخوذة من دمدم عليهم[3].

أما عن تكرار صوتي الدال والميم فقد أشعر السامع بهول الموقف فصوت الدال أسناني لثوي شديد مجهور. والميم صوت شفوي أنفي مجهور مرقق[4]. فالعلاقة الصوتية بين الحرفين أثرت في توجيه

[1] - فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، دار حامد، عمان، ط1، 2008م، ص: 22.
[2] - ابن منظور، لسان العرب، 12/ 206-207.
[3] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 375/30.
[4] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 93-105.

المعنى المراد التعبير عنه، فشدة الدال وجهرها وقلقلتها جعل لتلك الدمدمة وقعا شديدا وغنة الميم أعطت أنينا يشعر بالغضب، وكأنك ترى صورة العذاب أمام ناظريك فضلا عن تكرار منح الفعل مزاولة ومتابعة للدم وكأنه انفجار لم ير مثله على وجه الأرض[1].

6- زلزل:

الزَّلْزَلَة في اللغة مأخوذة من قولهم زَلَّ السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة، وزَلَّ يَزِلُّ زَلِيلاً وزُلُولاً إذا مَرَّ مَرًّا سريعا، وغلام زُلْزُلْ وقُلْقُلْ إذا كان حفيفا، وزَلَّ الماء في حلقة يَزِلُ زُلُولاً ذهب والزَلْزَلَة والزِلْزَال تحريك الشيء، وزَلْزَلَ الله الأرض زَلْزَلَةً، وزِلْزَالاً بالكسرة فَتَزَلْزَلَتْ[2]. وزَلْزَلَتْ الأرض رجفت الزلال الشدائد[3]. ونجد لفظة (زلزل) أيضا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة: 1.

والسورة بمجملها رسمت موقفا من أشد مواقف يوم القيامة والهول هنا مادي في مشاهد طبيعية، وحسي في داخل الحس الإنساني فالأرض تزلزل زلزالها فبهت الإنسان لهذا المشهد الذي لم يألفه والذي يفعم حسه ونفسه فيتسائل: مالها؟. مالها تزلزل وتضطرب[4]. ومعنى زلزلت في هذا

[1] – فراس عبد العزيز بن عبد القادر، علاقة الصوت بالمعنى في صيغة العقل الرباعي المضاعف (فعلل) في التعبير القرآني، مجلة آداب الرافدين، العدد،48، العراق، 2007م، ص: 12-17.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، 11/306-307.

[3] – محمد فريد وجدي، موسوعة دائرة معارف القرن العشرين، مج4، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ص: 590.

[4] – سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص: 242-243.

الموقف، حركت تحريك شديدا حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين، فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل[1].

أما من الناحية الصوتية فتكرار حرفي الزاي واللام قد حوى من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بغير هذين الصوتين لتصوير ذلك الحدث المروع، فحرف الزاي مجهور صفيري قوي واللام حرف متوسط القوة مجهور رخو[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه قد ورد في القرآن الكريم ألفاظا اتخذت شاهدا يستدل به على الإعجاز المبين، وهي ما لم يأت على وزن (فعلل) ولا وجود للتكرار فيها، إلا أنها كانت موحية ودالة لما وضعت له وسيقت فيه.

ومن هذا فلننظر في كلمة بديلة وهي "اثَّاقَلْتُم" من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ التوبة: 38.

فالقارئ لكملة "اثَّاقَلْتُم" يستشعر صعوبة واضحة في نطقها وليست خفيفة الوقع كذلك على الأذن، وذلك على خلاف ما نراه في كلمة بديلة وهي "اثَّاقَلْتُم"، بيد أن الأولى بتشكيلها الصوتي أقوى في تصوير المراد الإيحاء به، إن ترسم صورة مجسمة للتباطؤ الشديد وتثير في خيال قارئها

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 491/30.

[2] – القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص: 188-209.

وسامعها صورة ذلك الجسم المثقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم من الثقل[1]. ولو أنك قلت "تثاقلتم" لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود ولا توارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ وأستقل برسمها[2].

فاثَّاقَلْتُمْ أصلها تثاقَلْتُم، قُلبت التاء المثناة تاء مثلثة لتقارب مخرجيهما طلبا للإدغام، واجتلبت همزة الوصل لإمكان تسكين الحرف الأول من الكلمة عند ادغامها[3].

والآية تنطوي على مفارقة عجيبة تبدع في رسم مشهد مؤثر في وسط النداءات الطويلة المتلاحقة التي تحث المؤمنين على النفير[4].

فمجموع قوله "اثاقلتم إلى الأرض" تمثيل لحال الكارهين للغزو المتطلبين للعذر عن الجهاد كسلا وجبنا بحال من يطلب منه النهوض والخروج ليقابل ذلك الطلب بالإلتصاق بالأرض، والتمكن من القعود فيأبى النهوض فضلا من السير[5].

[1] – شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1987م، ص: 136-137.
[2] – محمد اسماعيل الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، ص: 365.
[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 197/10.
[4] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004م، ص: 78.
[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 198/10.

رابعا: التكرار الصوتي في الحديث النبوي

❖ تحليل تطبيقي لنماذج حديثية:

إن من فضيلة الجرس في البيان النبوي أن نرى لفظا في الحديث واحدا يرسم صورة المعنى الكامل، أو يساعد في أكبر خير من الاطار على تصويره أو تأكيد معالمه في جوانب الصورة.

وها نحن الآن بصدد دراسة التكرار الصوتي في نماذج مختارة من حديثه ﷺ.

الحديث الأول:

دخل رسول الله ﷺ على أم السّائب أو أم المسيب فقال: "مالك يا أم السّائب تزفزفين فقالت الحُمّى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد"[1].

– تزفزفين:

جاء في لسان ابن منظور في مادة (زَفَفَ): وزَفَّت الريح زفِيفًا وزَفْزَفَت هبت هبوبا لينا ودامت وقيل زَفْزَفَتُهَا شدة هبوبها. والزَّفْزَفَة حنين الريح[2]، وهي تحريك الريح الحشيش وصوتها فيه وشدة الجري وهزيز الموكب. واسترفه السير: استخفه. وازْدَفَّ الحمل: احْتَمَلَه. وفي الحديث: "مالك يا أم السائب تزفزفين" بضم أوله، أي تُرْعَدين، وبفتحه، أي: ترتعدين.[3]

[1] – أبي الحسين مسلم بن الحجاج القيشري النيسابوري، الجامع الصحيح، ج8، ص:16.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، 1842/1.

[3] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص: 816.

أما عن شرح الحديث فإننا نجد وجود تطابق بين المفهوم اللغوي للفظة تزفزفين وما ذكره النووي في شرحه للحديث فهو يقول: معناه: تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.[1]

نلاحظ أن الفعل (تزفزفين) وحده يرسم لنا صورة فَكَّيْ أم السائب ﷺ ووجهها في حركة سريعة قسرية تدل على نوع المرض الذي هي عرضه، وقد يصحب ذلك صوت غير مقصود تساوي ذبذبته الحركة نفسها، ومضاعف الرباعي يصاحبه التكرار المتلاحق في الحدث الذي يدل عليه. والرسول عليه الصلاة والسلام يعرف من الأعراض مرض أم السائب، ولكنه تلطف سائلا ليؤنسها بحديثه أولا، وليستدرجها إلى راحة نفسية ببث الشكوى، ثم ليعطيها ثانيا طاقة من الأمل في جزاء الصبر على قضاء الله بما يصيب المؤمن من المرض.[2]

وصوت الفاء شفوي أسناني مهموس مطبق[3] غير مصوت احتكاكي يظهر على شكل ضجة وذبذبة عشوائية[4]. أما الزاي فهو صوت لثوي مجهور مطبق منفتح[5] صفيري احتكاكي شديد[6].

لم يكن اختيار الرسول ﷺ للفظة تزفزفين من قبيل الصدفة فقد جاء بها على وزن (فعلل) الذي يشمل معنى التكرار، فلهذا التكرار مزيتان منها ما يعود على الجرس ومنها ما يعود على المعنى،

[1] – محيي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج8، مكتبة الايمان، مصر، دط، دت، ص: 307.

[2] – كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص: 291.

[3] – عبد العليم عبد الفتاح البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية، ص: 169.

[4] – سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ط1، 1983، ص: 56.

[5] – عبد العليم عبد الفتاح البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية، ص: 169.

[6] – محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، دط، 2001، ص: 123.

وقد ساعد تكرير الحرف في تشخيص المعاني وتقريبها من ادراكنا الحسي، إذ قدمت لنا لفظة تزفزفين حالة الحمى والهذيان الذي يرافقها، والرعدة التي تأخذ صاحبها[1].

فماذا لو وظّف الرسول ﷺ لفظا آخر غير تزفزفين كلفظة ترددين مثلا، هل سيكون المعنى والايحاء نفسه؟ كلاَّ. لأن للأصوات تأثير على الدلالة – فتجاور صوتي الزاي والفاء وتكرارهما كان أدق تمثيل للصوت الذي كانت تصدره أم السائب في تلك الحالة وهو الزفزفة.

[1] – أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي، ص: 81.

الحديث الثاني:

سأل الحارثُ بن هشام ﷺ رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي المَلَكُ رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"[1].

صلصل:

(ص ل ل) – (الصِّلُّ) بالكسر الحية التي لا تنفع منها الرقية. و(الصَلْصَالُ) الطين الحر خلط بالرمل فصار (يَتَصَلْصَلْ) إذا جفَّ فإذا طبخ بالنار فهو الفخار و(صَلْصَلَة) اللِّجام صوته إذا ضوعف[2]. وصلَّ اللَّجام إذا توهمت في صوته حكاية صوت صَلْ، فإن توهمت ترجيعا قلت: صَلْصَلَ اللِّجام. والصَلْصَلَة: صفاءُ صوت الرعد، وقد صَلْصَلَ وتَصَلْصَلَ الحَلِّيُ أي صَوَّت[3].

وإنَّا لنجد في شرح هذا الحديث أن الصَلْصَلَة في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض. وهي تطلق على كل صوت له طنين، وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة. والصوت له جهتان: جهة القوة وجهة الطنين. فمن حيث القوة وقع التشبيه به. ولما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلى متداركه وقع التشبيه به دون غيره من الآلات، والصلصلة المذكورة هنا هي صوت الملك بالوحي. وقوله (وهو أشده علي) يفهم منه أن الوحي كله شديد ولكن هذه الصفة أشدها.

[1] – محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج1، تح: أحمد محمد شاكر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت، ص:06.

[2] – الرازي، مختار الصحاح، ص: 323.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، 381/11- 382.

وهو واضح لأن الفهم من الكلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود[1].

إن استخدام صوتي الصاد واللام كان له أثره الجليل في تصوير شدة هذا الموقف على الرسول ﷺ، فبالرجوع إلى صفات هذه الأصوات نجد أن: الصاد صوت أسناني لثوي مضخم صفيري قوي[2]. وهو رخو مهموس من أصوات الاطباق[3]، وأما اللام فهو صوت لثوي جانبي مجهور متوسط يتميز بقوة إسماعية عالية وله خاصية التفخيم والترقيق[4]. فقوة الصوتين وشدتهما تُحيل السامع إلى أن وقع الوحي على الرسول ﷺ كان شديدا بما كان يحدثه من صوت كصوت وقع الحديد بعضه على بعض وهو الصلصلة.

لقد حكى الرسول ﷺ بتكراره لحرفي الصاد واللام صوت الصلصلة التي كانت ترافق الوحي، فيسمعها في أثناء تلقيه. فأحدث تكرار الصاد واللام صوتا يماثل أو يصور الضجة التي كانت تصاحب نزول الوحي على الرسول ﷺ[5].

ومن هنا يتضح أن هذا الحديث كان تصويرا لحالة الرسول ﷺ النفسية والجسدية عند نزول الوحي عليه ولعظمة هذا الأمر اختار الرسول ﷺ كل ما يمكن أن يوحي بذلك، فقد استخدم

[1] -أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ج1، تح: عبد القادر شيبة أحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2001،ص: 27-28.

[2] – أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001م، ص: 28.

[3] – ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 69.

[4] – عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار الأزمنة، العراق، دط، 1998م، ص: 89.

[5] – أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، ص: 81.

الصوت القوي الشديد لما هو مثله في الصفة. وذلك لتقريب المعنى وليتمكن المتلقي من أن يتصور الموقف تصورًا حقيقيا صائبا.

الحديث الثالث:

عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٍ له أجران"[1].

تعتع:

(تع) التاء والعين من الكلام الأصيل الصحيح وقياسه القلق والإكراه وكل من أُكره في شيء حتى يقلق فقد تَعْتَعَ.[2] فالتَّعْتَعَة الحركة العنيفة، وقد تَعْتَعَهُ إذا عَتَلَهُ أو أقلقه، والتَّعْتَعَة في الكلام أي يعيا بكلامه ويتردّد من حصر أو عيٍّ. وقد تَعْتَعَ في كلامه العيّ.[3]

أما عن شرح الحديث فقد ورد في صحيح مسلم أنّ السفرة جمع سافر ككاتب وكتبة، والسافر: الرسول، والسفرة، الرسل، لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة: الكتبة، والبررة: المطيعون، من البر وهو الطاعة، والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف لا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه. وأما الذي يتَتَعْتَعُ فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه وهذا له أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته. قال القاضي وغيره من العلماء، وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرا لأنه مع السفرة وله

[1] – مسلم، الجامع الصحيح، 195/2.
[2] – ابن فارس، مقاييس اللغة، 338/1.
[3] – ابن منظور، لسان العرب، 434/1.

أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم[1].

تكمن إيحائية هذا الحديث بالخصوص في لفظة يتتعتع، فهل نجد لتصوير ثقل النطق وعيّ اللسان، ومحاولة القراءة مع عدم الإجادة أبرع من هذه الأداة الكاشفة، فكلمة واحدة أعطت صورة اللسان، يحاول أن ينهض بحمله من جانب فيثقل من آخر، فيكرر العمل ويكرره، لما نيط به من الأجر!

(يتتعتع) فعل نشأ من مكرر (تع)[2]. فأحد الحرفين أسناني لثوي انفجاري مهموس وهو (التاء). والآخر حلقي احتكاكي مجهور[3]، وهو صوت بين الشديد والرخو[4]. إلا أنه يمثل بالمقطع المكرر في الماضي المجرد (تع تع) معاناة الناطق حتى ينطق بالجزء من اللفظ أكثر من مرة، لشدته على اللسان، كمن يهز الجسم في مكانه مرة ومرة يحاول نقله. وصوت المقطع القصير يدل على قصر الهمة عن الاندفاع، إذ أنه ما تنطلق فيه الحركة حتى يلحقها السكون، وذلك التصوير كافٍ لبيان جهد الفاعل، إذ (تعتع) الجسم، ولكنا نرى اللفظ في النص قد زاد إيضاحا لجهد القارئ، وما يصاحب عضلات النطق وملكات الاهتمام بزيادة المضارعة والمطاوعة فليس الثقل في (يتتعتع) عيًّا عن اختيار

[1] – محي الدين النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، 274/3.

[2] – كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص: 292.

[3] – سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، دط، دت، ص: 31-87.

[4] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، 1994م، ص: 59.

لفظ سهل يؤدي المعنى[1]. فكما يقال الألفاظ أوعية المعاني، وما استوعبته لفظة (يتتعتع) ما كان لتستوعبه أي لفظة أخرى ففي هذا الحديث ترغيب في قراءة وترتيل القرآن ولو كان ذلك بالتتعتع فيه.

[1] – كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص: 292.

الحديث الرابع:

عن أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "الذي يشرب في إناء الفضة إنّما يُجَرْجِرُ في بطنه نار جهنم"[1].

جرجر:

مأخوذة في اللغة من (جَرَّ) والجَرُّ: الجَذْب، جرَّه يجرُّه جرًّا، وجَرَرْتُ الحبل وغيره أجُرُّه جرًّا. وانجرَّ الشيء انجذب. والجَرْجَرَة: الصوت[2]. وجَرْجَرَ الفحل ردَّد صوته في حنجرته وجَرْجَرَة النار صوّتت وقوله ﷺ "يجرجر في بطنه نار جهنم" قال الأزهري نارَ منصوبة بقوله يجرجر والمعنى تلقى في بطنه. يقال جرجر فلان الماء في حلقه إذا جرعه جرعًا متتابعا يسمع له صوت والجرجرة حكاية ذلك الصوت، وقيل يجرجر فعل لازم ونار رفع على الفاعلية وهو مطابق لقوله جرجرت النار إذا صوتت.[3]

وما جاء في شرح الحديث لم يخرج عما قيل في المعاجم فالجرجرة في هذا الموضع تعني الصب أو التجرع. والجرجرة هي التي تُصَوِّت في البطن كما يُصَوِّت البعير بالجرجرة، لأن النار لا صوت لها.[4]

[1] – البخاري، صحيح البخاري، 113/7.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، 125/4.

[3] – أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1987م، ص: 37.

[4] – العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 100/10.

والشاهد في هذا الحديث هو الفعل يجرجر وهو مكون من صوتين مكررين أحدهما لثوي صامت مرقق مركب انفجاري احتكاكي وهو صوت الجيم[1]. والآخر صوت لثوي تكراري مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة وهو صوت الراء ويسمى بالصوت المكرر.[2]

جاء الفعل جرجر على وزن الرباعي المضاعف (فعلل) الذي يحمل معنى التكرار للشيء وهو في هذا الموقف تكرار الجر، فصفة التكرارية لصوت الراء ناسبت تكرار فعل الجر الذي يحدث في بطن من يشرب من إناء الفضة.

[1] – سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية ، ص: 40.

[2] – أحمد مهدي محمد الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، باب الجيم، دط، 2004م، ص:1

الحديث الخامس:

قال رسول الله ﷺ: "بينما رجل يمشي في حلّة تعجبه نفسه مرجِّلُ جُمَّتَهُ إذ خَسَفَ الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة"[1].

جلجل:

جاء في مادة (ج ل ل). و(الجَلْجَلُ) واحد (الجَلاَجِلْ) وصوته (الجَلْجَلَة) و(تَجَلْجَلَ) في الأرض ساخ فيها ودخل. وفي الحديث "إنَّ قارون خرج على قومه يتبختر في حُلَّةٍ فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتَجَلْجَل فيها إلى يوم القيامة"[2]. والتَّجَلجُل: السؤوخ في الأرض. والتحرُّك، والتَّضَعْضُع والجَلْجَلَة: التحريك وشِدّةُ الصوت، وصوت الرعد، والوعيد.[3]

ومعنى الحديث أن الذي يمشي في حُلَّة تعجبه نفسه وهو يختال فسوف يخسف الله به الأرض فهو يتجلجل إلى يوم القيامة، والتجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أن ينزل فيها مضطربا متدافعا[4].

[1] – البخاري، صحيح البخاري، 141/7.
[2] – الرازي، مختار الصحاح، ص:95.
[3] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص: 978-979.
[4] – العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 272/10.

ونجد أن كل تلك المعاني قد تبلورت في صوتي الجيم واللام. فصوت الجيم لثوي مركب انفجاري احتكاكي معطش[1] متذبذب، إذ تتذبذب معه الأوتار الصوتية عند النطق به. أما اللام فهو صوت صامت أسناني لثوي مجهور جانبي مرقق[2].

أما عن تكرار صوتي الجيم واللام فقد أدى الوظيفة المنوطة به إذ مثَّل لحالة ذلك الشخص المضطربة حركته وهو يتمايل من جهة إلى أخرى.

والملَاحظ من خلال الحديثين الأخيرين (الرابع والخامس) أنهما قد اشتملا على غرض واحد وهو الترهيب والتخويف على الرغم من اختلاف المواضيع المتناولة فيهما، والشاهد في هذين الحديثين هو: جرجر وجلجل على الترتيب اللذان وردا على صيغة الرباعي المضاعف (فعلل) الذي من معانيه التكرار. وفي كلا الشاهدين نجد توظيف حرف الجيم من طرف الرسول ﷺ ولم يوظف صوتا غيره لمناسبته لمثل هذه المواقف.

– من خلال دراستنا لهذه الأحاديث النبوية الشريفة نجد أن الأصوات المكررة فيها قد صورت ارتباط الأصوات بدلالاتها بشكل جمالي مذهل، وبينت دور المكرر وإيحائيته، فالرسول ﷺ جعل المكرر عنصرا ابداعيا وآلة تصويرية عجيبة، وسر الجماليات الصوتية في هذه الأحاديث النبوية يكمن فيما ولدته من طاقة دلالية، فطبيعة الأصوات المهموسة والمجهورة والمفخمة والقوية والشديدة، تساهم في

[1] – سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، ص: 40.

[2] – محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، ص: 19.

شحن الأحاديث بالمعاني المتنوعة، هذه الأحاديث التي رسمت أغراضا مختلفة تفهم من سياق الحديث.

خاتمة

بعد رحلة البحث وجولتنا في هذا الموضوع على أمل لمزيد من الدراسات حول البيان النبوي فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي على النحو التالي:

1. إن دلالة الأصوات يمكن استخلاصها بالنظر إلى مصدر الصوت وطبيعته وكيفية حدوثه وانتقاله.
2. يعتبر علم الأصوات علمًا مستقلاً بذاته حديث النشأة.
3. تنوعت الآراء فيما يخص التمييز بين الفونيتيك والفونولوجيا بين إمكانية الفصل بينهما من عدمه.
4. تنبه اللغويون العرب إلى علاقة الصوت بالمعنى منذ القدم، إذ اقترن ذلك بدراستهم للقرآن الكريم وتساؤلهم عن أصل اللغة.
5. نجد من القدامى الذين اهتموا بارتباط الأصوات بمعناها، الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي بيّن محاكاة الأصوات بعضها ببعض.
6. نجد أن سيبويه تطرق إلى هذه القضية على الرغم أن مجاله النحو، فقد أشار عن ذلك في كتابه "الكتاب".
7. عقد ابن جني لهذه القضية أبوابا عدة منها تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني وامساس الألفاظ أشباه المعاني.
8. نجد تباينا في آراء المحدثين حول ارتباط الصوت بالمعنى في الدرس اللساني الغربي والعربي.
9. إن الاهتمام بالأصوات ودلالاتها يرجع إلى كونهما وسيلتين يفصح ويعبر بهما الانسان.

10. تنشأ دلالة الصوت بداية من التراكيب وقد اتسم الصوت القرآني بقوة التأثير انطلاقا من سهولة الأصوات حين ائتلافها وإحساس الأذن بعذوبتها.

11. إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ينتقيان الأصوات بحسب الدلالات قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة.

12. إن لهذه الصناعة الصوتية الدلالية العذبة في الأحاديث النبوية منبعا أصيلا ومصدرا عميقا ألا وهو – القرآن الكريم –.

13. يعد التكرار أحد الأساليب البلاغية التي اعتمدت في القرآن الكريم والحديث النبوي لغاية جذب الاسماع.

14. لقد اسهمت دلالة الأصوات في هذه الأحاديث النبوية إلى تقوية الجانب التعبيري عن طريق التصوير الذي يقوم على المشابهة ونقل القارئ أو السامع من صورة جميلة إلى صورة أجمل لا تخطر بباله، فتميزت بانتقال الأحداث والمشاهد من البسيط إلى المركب.

15. كانت الدلالات الصوتية في الحديث النبوي تنمو بحسب تلك المواقف والأغراض.

16. لقد تضمنت الأحاديث النبوية ايحاءات وعمقا ورصيدا دلاليًّا عظيمًا وأساليب متنوعة من التكرار الصوتي.

17. التكرار الصوتي وجه بلاغي يُصَوِرْ انفعالات ويسلط الأضواء عليها فالرسول ﷺ لا يكرر إلا ما يثير اهتمامه ولا يكرر إلا ما يهدف لفت الخاطر إليه.

18. لقد كان اللفظ المكرر النواة الحيوية في النسيج القرآني والبيان النبوي، إذ كان يقدم للقارئ مسألة مصحوبة بدليل وفي طيها برهان، فتأتي الدلالات المجردة في صورة محسوسات، ويجعل المعنوي حسيّاً والمجرد ملموسا، وذلك لتنشيط السامع واشراكه، في كشف أسرار هذا الجمال الرباني وسحر البيان النبوي.

- وأخيرا وليس بآخر نقول:

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** برواية حفص عن عاصم

1.أ – ي– فنستك، مفتاح كنوز السنة، تر: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، دط، 1983م.

2.ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت.

3.ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م.

4.ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م.

5.ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007م.

6.أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، دط، 2005م.

7.أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1/ ج10/، تح: عبد القادر شيبة أحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2001م.

8.أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1987م.

9.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1999م.

10. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م.

11. أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001م.

12. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2004م.

13. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

14. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.

15. أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1999م.

16. إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج3، دار صادر، بيروت، دط، دت.

17. الامام الطيبي، التبيان في البيان، تح: حسين عبد الستار زموط، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م.

18. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988م.

19. بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، مصر، ط2، 2010م.

20. أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ط2، 1982م.

21. أبي بكر البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.

22. أبو بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2007م.

23. بكري شيخ أمين، أدب الحديث النبوي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1979م.

24. الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج1، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1978م.

25. الترمذي، الجامع الكبير، ج6، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1998م.

26. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، دط، 1994م.

27. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.

28. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1990م

29. التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار هومة، الجزائر، دط، دت.

30. جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م.

31. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008م.

32. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: محمد أحمد جاد المولى، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

33. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تهذيب الخصائص النبوية الكبرى، تح: عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1410هـ.

34. جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت.

35. حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1999م.

36. حامد صادق قنيبي ومحمد عريف الحرباوي، المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية، دار ابن الجوزي، عمان، دط، 2005م.

37. حسام البهنساوي، التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

38. حسام سعيد النعيمي، ابن جني عالم العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990م.

39. حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، دط، 1980م.

40. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج5/ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، دط، دت.

41. أبي الحسين مسلم بن الحجاج القيشري النيسابوري، الجامع الصحيح، ج2، الطبعة التركية، دت.

42. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، تر: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، دت.

43. خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م.

44. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1/ج7، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي،

45. خولة طالب ابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006م.

46. ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995م.

47. رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر –دراسة جمالية، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2002م.

48. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.

49. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.

50. أبي السعود محمد بن محمد العمادى، ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2/ج4، تح: أحمد حسن فرحات، دار احياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

51. سعيد حسن البحيري، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2008م.

52. سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)، تر: ياسر الملاح، النادي الثقافي الأدبي، السعودية، ط1، 1986م.

53. سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، دط، 1998م.

54. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط13، 2004م.

55. سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط14، 2000م.

56. الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

57. شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1987م.

58. صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، دط، 2009م.

59. صبري المتولى، دراسات في علم الأصوات، دار الثقافة، القاهرة، دط، 2004.

60. صلاح الدين الهواري، المولد النبوي الشريف، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2003م.

61. صلاح عبد الفتاح الخالدي، اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، الأردن، ط1، 2000م.

62. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.

63. الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية – دراسة ابستمولوجية– ، دار القصبة، الجزائر، ط1، 2001م.

64. أبي العباس ضياء الدين الأنصاري، اثبات نبوة محمد، تح: أحمد آيت بلعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.

65. عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت.

66. عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، محمد رسول الله، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1986م.

67. عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية، مدارسها ومناهجها، دار الفروق الحرفية، مصر، ط2، 1981م.

68. عبد الحميد مصطفى السيد، الأفعال في القرآن الكريم، ج2، دار حامد، عمان، ط2، 2007م.

69. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، دار العلم للجميع، بيروت، دط، دت.

70. عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار غريب، مصر، دط، 2002م.

71. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1993م.

72. عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، دط، 2009م.

73. عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، مطبعة الجبلاوي ،القاهرة ،دط،دت

74. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية، دار الجريسي، القاهرة، ط3، 2004م.

75. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، ط1، 1998م.

76. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار الأزمنة، العراق، دط، 1998م.

77. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، ط1، 2000م.

78. عبد الله عبد الناصر جبري، لهجات العرب في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م.

79. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت.

80. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العربية، بيروت، دط، 2001م.

81. عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م.

82. عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية – الفونولوجيا– دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م.

83. عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية – الفونيتيكا–، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م.

84. أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.

85. أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج1، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000م.

86. أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، دت.

87. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط3، 2004م.

88. أبي علي محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج1/ج10، تح: أحمد محمد شاكر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت.

89. عمار ساسي، الاعجاز البياني في القرآن الكريم، ج1، دار المعارف، الجزائر، ط1، 2003م.

90. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م.

91. فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار التنزين، بغداد، دط، 1970م.

92. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993م.

93. أبي الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1/ج2، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، دط، دت.

94. أبي الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ج2، تح: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح اسماعيل شبلي، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، دط، 1994م.

95. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب،ج1/ ج2/ ج4/ ج5/ ج9/ ج11/ ج12 ج13 ، دار صادر، بيروت، دط، دت.

96. فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، دار حامد، عمان، ط1، 2008م.

97. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، 2001م.

98. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، دط، 2005م.

99. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000.

100. كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار إقرأ، بيروت، ط1، 1984م.

101. ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.

102. ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية، بغداد، دط، 1980م.

103. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.

104. محمد أبو العلاء الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مكتبة الرشد، الرياض، دط، 2007م.

105. محمد اسماعيل الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م.

106. محمد الصالح الصديق، مع الرسول ﷺ في بلاغته وهجرته واسرائه ومعراجه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1985م.

107. محمد الصباغ، الحديث النبوي مصطلحاته بلاغته كتبه، المكتب الاسلامي، دمشق، ط4، 1981م.

108. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10/ج19/ج24/ج30، الدار التونسية، تونس، دط، دت.

109. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1989م.

110. محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: أحمد محمد شاكر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت.

111. محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980م.

112. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 2000م.

113. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000م.

114. محمد رجب البيومي، البيان النبوي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1987م.

115. محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي، مصر، دط، 1996م.

116. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م.

117. محمد علوي المالكي الحسني، محمد ﷺ الانسان الكامل، دار جوامع الكلم، القاهرة، دط، دت.

118. محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، جامعة الرياض، الرياض، ط1، 1986م.

119. محمد علي الصابوني، صفحات مشرقة من حياة الرسول وصحابته الأبرار، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.

120. محمد علي الكواز، الفصاحة العربية للمفاهيم والأصول، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2004م.

121. محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2002م.

122. محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، ط14، 2002م.

123. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، دط، 2001م.

124. محمد محمد الفحام وآخرون، سلسلة الفكر المعاصر (محمد رسول الله)، دار الآفاق، الجزائر، دط، دت.

125. أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، دار عمار، الأردن، ط3، 1996م.

126. محمد نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة عنابة، الجزائر، ط1، 2006م.

127. محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، دار العلوم العربية، بيروت، دط، 1989م.

128. محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، ج1، دار أضواء السلف، الرياض، ط2، 1997م.

129. محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، دط، دت.

130. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، دط، دت.

131. محيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج3/ ج7/ج8، مكتبة الايمان، مصر، دط، دت.

132. مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2003م.

133. مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دط، دت.

134. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م.

135. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1973م.

136. مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم، والجمال الفني في البلاغة النبوية، تح: أبي عبد الرحمن البحيري، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، دط، دت.

137. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

138. مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت.

139. مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1998م.

140. منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2001م.

141. مهدي المخزومي، الفراهيدي عبقري من البصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2،1989م.

142. ميلكا ايفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، دط، 2000م.

143. نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، الجزائر، دط، 2007م.

144. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط1، 2006م.

145. نيكولاي تروبتسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، تر: عبد القادر القيني، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط1، 1994م.

146. أبي هلال بن عبد الله العسكري، الصناعتين في النثر والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981م.

147. يحي بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، ج1، دار الكتب الخديوية، مصر، دط، 1223هـ.

148. يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، دار الشروق، عمان، ط1، 2000م.

المجلات والموسوعات

1.أحمد مهدي محمد الشويخات، الموسوعة العربية العالمية.

2.أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، مج 26، ع1+2، 2010م.

3.دفة بلقاسم، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، بسكرة، جوان 2009م.

4.فراس عبد العزيز بن عبد القادر، علاقة الصوت بالمعنى في صيغة الفعل الرباعي المضاعف (فعلل) في التعبير القرآني، مجلة آداب الرافدين، العدد: 48، العراق،2007م.

5.محمد فريد وجدي، موسوعة دائرة معارف القرن العشرين، مج 4، دار الفكر بيروت، دط، دت.

فهرس

الموضوعات

العنـــــوان	الصفحة
شكر وعرفان	
المقدمة	أ
مدخل	7
أولا: مفهوم البيان: أ- لغة ب- اصطلاحا	8
ثانيا: مفهوم علم البيان	10
ثالثا: مقومات البيان النبوي	11
I. التوفيق الالهي	11
II. قريشيته	12
III. تلمذته على القرآن	14
الفصل الأول: القيمة التعبيرية للصوت	21
تمهيد	21
أولا: علم الأصوات العام	23
I. مفهومه	23
II. موضوعه ومجالاته	24
III. فروعه	27

IV. أهميته	33
ثانيا: الفونولوجيا	37
I. مفهوم الفونولوجيا	38
II. موضوع الفونولوجيا	39
III. فروع الفونولوجيا	40
IV. التحليل الفونولوجي	41
ثالثا: التمييز بين الفونيتيك والفونولوجيا	47
رابعا: الصوت والمعنى في التراث	50
I. الصوت والمعنى عند الخليل	51
II. الصوت والمعنى عند سيبويه	54
III. الصوت والمعنى عند ابن جني	56
خامسا: الصوت والمعنى في اللسانيات	65
I. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند الغرب المحدثين	66
II. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب المحدثين	72
الفصل الثاني: الصوت والمعنى في البيان النبوي	78
مدخل: من بلاغة الحديث النبوي الشريف	78

I. الأداء	79
II. المعنى	80
III. الأسلوب	80
IV. الايجاز	81
أولا: مفهوم التكرار، لغة – اصطلاحا	83
ثانيا: التكرار في الحديث النبوي الشريف	85
ثالثا: التكرار الصوتي في القرآن الكريم	88
رابعا: التكرار الصوتي في الحديث النبوي الشريف	100
❖ تحليل تطبيقي لنماذج حديثية	100
– الحديث الأول	100
– الحديث الثاني	103
– الحديث الثالث	106
– الحديث الرابع	109
– الحديث الخامس	111
خاتمة	115
قائمة المصادر والمراجع	119

فهرس الموضوعات	135

تم بحمد الله